M/909,397

جامعة 08 ماي 1945 قالمة
قسم التاريخ والآثار
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

١٤١٢/١١

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 08 ماي 1945

قالمة

كلية العلوم الإنسانية
والاجتماعية

قسم التاريخ والآثار
التخصص : تاريخ عام

مذكره مقدمه لنيل شهاده الماستر في التاريخ العام بعنوان :

عبد الله بن سبأ ودوره في احداث الفتنة الكبرى في صدر الاسلام

إعداد الطالب:
خير الدين كربي

الأستاذ المشرف :
أ. رابح أولاد ضياف

لجنة المناقشة

أ. حواس غربي	رئيسا	جامعة 08ماي1945 قالمة
أ.رابح أولاد ضياف	مشرفا ومقررا	جامعة 08ماي1945 قالمة
أ.عبد الكريم قرين	عضوا مناقشا	جامعة 08ماي1945 قالمة

السنة الجامعية

2014-2013

شكر و تقدير

بعد الحمد والشكر لفضل الله العظيم ، على منّه علينا بإتمام هذه الدراسة

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان، و عظيم التقدير و الامتنان لأستاذي المشرف

"راخ أولاد ضياف" على توجيهاته وإرشاداته القيمة ودعمه ومساندته المتواصلة لي

سائلا المولى عز و جل أن يجزيه عني خير الجـزاء.

ولابد لي من أن أشكر أساتذتي الكرام أعضاء لجنة المناقشة ، وكل من قدّم جهدا في

سبيل إخراج هذه الدراسة إلى حيز الوجود ،آملا اعتبار ذلك شكرا خاصا لكل

ذي فضل عليّ...

Kribi Khireddine

2014

الخطة العامة

المقدمة

الفصل الأول: عبد الله بن سبأ وظهوره بين المسلمين.

المبحث الأول : أصل بن سبأ ونشأته

أولا : أصل بن سبأ

ثانيا: نشأة ابن سبأ

المبحث الثاني : ظهوره بين المسلمين

المبحث الثالث : محاولات التشكيك في وجود عبد الله بن سبأ

أولا : عبد الله بن سبأ في كتاب المتقدمين

ثانيا : عبد الله بن سبأ في كتابات المستشرقين

ثالثا : ابن سبأ في كتابات المحدثين

الفصل الثاني : عبد الله بن سبأ وأحداث الفتنة في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه

المبحث الأول: بوادر الخلاف وسياسة عثمان إزاءه .

أولا : بوادر الخلاف في الكوفة

ثانيا : بوادر الخلاف في البصرة

ثالثا : بوادر الخلاف في الشام

رابعا :بوادر الخلاف في مصر

المبحث الثاني: عبد الله بن سبأ وأثره في إذكاء الفتنة .

المبحث الثالث: تصاعد الفتنة ومقتل الخليفة .

الفصل الثالث : عبد الله بن سبا و أثره في إحداث الفتنة في عهد علي رضي الله عنه

المبحث الأول : الظروف التي تولى فيها علي رضي الله عنه الخلافة

المبحث الثاني : اشتغال الخلاف ، وتوجه الأنظار إلى البصرة

أولا: اشتغال الخلاف.

ثانيا : خروج عائشة و طلحة و الزبير إلى البصرة

المبحث الثالث : أثر ابن سبأ و أعوانه في معركة الجمل

الخاتمة.

المقدمة

لقد أثار انتشار الإسلام في أيامه الأولى، و امتداد الفتوح الاسلامية شرقا و غربا حفيظة أعداء هذا الدين ،ورامو كيده و النيل من المسلمين و كانت وسيلتهم في البداية مجابهة المسلمين في ميادين القتال،و لكن خطتهم تلك باءت بالفشل يوم ان ردت جحافل المرتدين ثم توالت الضربات في (القادسية) و (ونهاوند) و (اليرموك) ...الخ

فرأوا ان الكيد للإسلام بالحيلة أنجع، فبدأوا يحكمون مخططاتهم في الخفاء ...وكان استشهاد الخليفة عمر رضي الله عنه نتيجة هذا التخطيط الماكر...

ثم أعقب ذالك الفتنة التي انتهت باستشهاد الخليفة عثمان رضي الله عنه ، وكانت فتنة هوجاء فاقت في ضراوتها ما كان قبلها، فالخليفة لا يقتل في (الغلس) كما كان الأمر مع عمر رضي الله عنه، و إنما يقتل الخليفة في وضح النهار ،وفوق ذالك يمسك الثوار بزمام المدينة و يتولون أمرها خمسة ايام، ثم تعصف الفتنة بالمسلمين مرة أخرى، وتبلغ الفتنة غايتها في معركتي (الجمل) و (صفين) و أخيرا يستشهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كما استشهد الخليفان قبله

وموضوع دراستنا هذه و الموسوم بـ (عبد الله بن سبأ ودوره في أحداث الفتنة الكبرى) يتناول معظم هذه الأحداث وهي أحداث غامضة تحتاج إلى عناء، و البحث فيها شائك يحتاج إلى الكثير من التأمل و التروي قبل إصدار الحكم...

على ان الموضوع تناولته الأقلام من شتى المشارب، فالمستشرقون لم يزهدوا في البحث فيه بل كان مغنما تسابقوا إلى اقتسامه،فاستغل بعضهم تلك الأحداث الطعن في الإسلام أو النيل من أعراض الصحابة الكرام وتبع أولائك تلامذتهم من المستغربين ، يضاف إلى هؤلاء و أولئك طائفة من الشيعة المحدثين لبسوا لبوس البحث العلمي حتى يقنعوا الناس بنتائج أبحاثهم

إزاء هذا- ونظرا لقلة الكتابة الاسلامية الحديثة عن تلك الفترة أحسست بالحاجة إلى البحث في هذا الموضوع – على الرغم من صعوبته.

و في محاولة معالجة هذا الموضوع نجد أنفسنا ننطلق من الإشكال المركب التالي :

من هو عبد الله بن سبأ ؟ وأين تعود أصوله؟ وما هي ظروف ظهوره بين المسلمين ؟ ما الدور الذي قام به في أحداث الفتنة الكبرى في جميع مراحلها ؟ والى أي مدى كان له تأثير في مجرياتها ؟

وفي محاولة الإجابة على هذه التساؤلات تم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة فصول، أما الفصل الأول منها : (عبد الله بن سبأ و ظهوره بين المسلمين) فقد أفردته لدراسة شخصية عبد الله بن سبأ : أصله و نشأته،ظهوره بين المسلمين و محاولات التشكيك في وجوده التاريخي وما ينسب اليه من أعمال، وفيما يخص الأصل و المنشأ أبنت عن ضآلة المعلومات في المصادر التي بين أيدينا عن هذا الجانب، ومع ذالك جمعت ما استطعت العثور عليه، وتطلب الأمر مني-أحيانا- إلى الاستنتاج من خلال النصوص العامة، أما عن ظهوره بين المسلمين فحاولت تتبع تاريخ ظهوره بين المسلمين و تنقله في بلدان المسلمين،و الآثار التي خلفها في كل قطر من أقطار الخلافة التي مر بها.

كما شمل هذا الفصل دراسة عن محاولات التشكيك التى أثيرت حول وجود ابن سبأ و الآثار التى خلفها، وقد عرضت قبل ذلك لما كتبه المتقدمون من أهل السنة و الشيعة عن عبد الله بن سبأ ، فجمعت بعض نصوصهم، ودرست بعض رواياتهم، ثم عرجت على كتابات المستشرقين مستجمعا بعض آرائهم حيال الموضوع و أخيرا جمعت بعض كتابات المحدثين من اهل السنة و الشيعة، معلقا على بعضها أحيانا، ومشيرا إليها فقط أحيانا اخرى

و ابتدأت في الفصل الثاني: (عبد الله بن سبأ و دوره في إحداث الفتنة في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه) مركزا الحديث عن بوادر الخلاف في أقطار الخلافة و موقف الخليفة من ذلك ، مبرزا أهم آثاره في تلك الفترة، و ذلك في إذكاء الفتنة، ثم تصاعدها و مقتل الخليفة

الفصل الأول:

عبد الله بن سبأ ، وظهوره بين المسلمين

المبحث الأول: أصل ابن سبأ ونشأته.

المبحث الثاني: ظهوره بين المسلمين .

المبحث الثالث: محاولات التشكيك في وجوده التاريخي .

المبحث الأول: أصل بن سبأ ونشأته .

أولا : أصل بن سبأ

لا تذكر المصادر التاريخية شيئا واضحا عن أصل السبأيين،ومن المحتمل أنهم كانوا في الأصل قبائل بدوية تتجول في الشمال ثم انحدرت نحو الجنوب إلى اليمن حوالي 800 ق.م.كعادة العرب في التجوال ، أو نتيجة ضغط الآشوريين عليهم من الشمال ، واستقروا أخيرا في اليمن وأخذوا في التوسع ... كما قرر ذلك الدكتور صالح العلي[1] هذا عن سبأ التي كثيرا ما ينسب إليها عبد الله بن سبأ .فيقال السبئي ، أو السبأي كما سيأتي ؛ على أن هناك من ينسب (ابن سبأ) إلى (حمير) حتى قال بن حزم :»والقسم الثاني من فرق الغالية يقولون بالإلهية لغير الله عزّ وجلّ ، فأولهم قوم من أصحاب عبد الله بن سبأ الحميري ...»[2].

وحمير كانت من القبائل المعروفة في العربية الجنوبية عند الميلاد ،ويذكر أن عاصمتهم كانت (ظفار)[3] ولم تكن علاقات (حمير) (بسبأ) علاقات طيبة في الغالب بل يظهر أنها كانت نزاعا وخصوما في أكثر الأوقات حتى استطاعت (حمير) في الأخير أن تبسط نفوذها في اليمن ثم تنتزع الحكم من السبأيين ،وتصبح هي الأسرة الحاكمة في اليمن ،وأصبح لقبهم من سنة 275 م. (ملك سبأ وريدان وحضرموت وأعرابهم من الجبال وتهامة)[4] .

أما البلاذري ، وأبو خلف الأشعري ،فهما ينسبأن (ابن سبأ) إلى(همدان) فهو (عبد الله بن وهب الهمداني) عند البلاذري [5] ، و(عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني) عند الأشعري[6] وهمدان كانت من القبائل الكبيرة التي كان لها شأن يذكر في عهد (ملوك سبأ) ،وقد علا نجمهم بعد أن اغتصبوا عرش سبأ من السبئيين .

وعلى أية حال وسواء نسب (ابن سبأ) إلى (السبئيين) أو إلى (الحميريين) أو إلى (الهمدانيين) فهي تؤكد الأصل (اليمني) لعبد الله بن سبأ ، جاء في تاريخ الطبري «كان عبد الله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء.

---

[1] صالح العلي.**محاضرات في تاريخ العرب** .مكتبة المثنى.بغداد.ط 6.ج 1 .ص21

[2] ابن حزم .**الفصل في الملل و الأهواء و النحل**.ج4 .ط 1 1320ه .ص 126

[3] جواد علي .**المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** . ج 2. ط 1.بيروت .1969 .ص 510

[4] صالح العلي.المرجع نفسه.ص28 .

[5] **أنساب الأشراف**.ت:محمد باقر المحمودي. نشر مؤسسة الأعلمي.بيروت.ص 372

[6] سعد الأشعري. **المقالات والفرق** .طبعة طهران. 1963.ص20

وابن قتيبة أشار إلى يهودية بعض القبائل العربية حينما قال :» كانت اليهودية في حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة وفوق ذلك فإن الاتجاه الغالب في يهود اليمن أن أكثرهم من أصل عربي [1] .

ومع ذلك فليس مقطوعا بانتساب ابن سبأ إلى همدان . كما مر معنا وحتى لو قطع بذلك فهناك من يتردد بين نسبته لهمدان على الحقيقة نسباً،أم بالولاء .

أما المستشرق (إسرائيل فريد لندر) فإنه يتشكك في البداية . في يهودية ابن سبأ ويقول :» على الرغم من ذكر الطبري،والكشي، وابن الحزم والبغدادي ليهودية ابن سبأ فنحن نشك في هذا لأن لفظة يهودي تعني الشتيمة في العربية» .

ولكنه يعود بعد ذلك ليضع الأمر محل الاحتمال، ويأتي بأدلة تقوي هذا الاحتمال، فهو من حمير وهي قبيلة يهودية، ثم هو من اليمن، ولليهود دور كبير في اليمن في تلك الفترة، وأخيرا . كما في رأي فريد لندر . فكونه من صنعاء يقوي هذا الاحتمال، لأن صنعاء كان بها جالية يهودية كبيرة .

ولئن كان هذا الشك في يهودية ابن سبأ عند بعض المستشرقين، إنما جاء نتيجة اعتراض يقضي بأن ابن سبأ في تصوراته عن المهدي كان متأثرا بالإنجيل أكثر من تأثره بالتوراة وهو اعتراض قد يقلل من يهودية ابن سبأ، إلا أن هذا الاعتراض يضعف حينما نتبين رأي بعض الباحثين في طبيعة اليهودية في بلاد اليمن . في تلك الفترة . وأنها امتزجت فيها المسيحية بالموسوية، وكانت يهودية سطحية[2] ، وأن يهودية ابن سبأ ربما كانت أقرب إلى يهودية (الفلاشا) وهم يهود الحبشة، وهذه اليهودية شديدة التأثر بالمسيحية الحبشية[3] .

وهذا الأصل اليهودي لابن سبأ لم يكن محل خلاف في الروايات التاريخية،أو لدى كتب الفرق، وفي آراء المتقدمين، أمثال: الطبري، وابن عساكر، وابن الأثير، والبغدادي وابن حزم . كما تقدم . أو أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية عليهم رحمة الله .

ثانيا : نشأة ابن سبأ

على ضوء المعلومات السابقة، وإذا ما نحن تمعنا في الأجواء التي نشأ فيها ابن سبأ أمكننا الوقوف على النقاط التالية:

---

[1] جواد علي. تاريخ العرب قبل الإسلام ..المجمع العالمي العراقي.ج6 .1957م.ص26

[2] عبد الرحمن بدوي.المرجع. السابق.ج2 .ص28.

[3] نفسه،ص28

1. بتغليب الروايات السابقة نجد أن ابن سبأ نشأ في اليمن، سواء كان في قبيلة حمير أو همدان ولا نستطيع الجزم بأيهما .
2. كان لليهود وجود في اليمن ، لم يستطع بعض الباحثين أن يحدد وقته على وجه الدقة[1] .وقال عنه البعض الآخر انه يرجع في بعض الآراء إلى سنة 80 م .، وذلك حين نزح اليهود من فلسطين بعد أن دمرها الإمبراطور الروماني (تيتوس) و حطم هيكل (أورشليم) و على أثرها تفرق اليهود في الأمصار ،ووجد بعضهم في اليمن بلدا آمنا فالتجأوا إليه ، و انتشرت اليهودية[2]
3. بعد أن استولى الأحباش على اليمن سنة 525 م. بدأت النصرانية تدخل اليمن[3] .
4. على اثر هذا امتزجت تعاليم (التوراة)مع تعاليم (الإنجيل) وكانت اليهودية في اليمن يهودية سطحية .
5. ولكن اليهودية وإن ضعفت في اليمن بدخول الأحباش فيها، فإنها بقيت مع ذلك محافظة على كيانها، فلم تنهزم ولم تجتث من أصولها[4] .

ولعلنا من خلال تلك الإشارات أن نستجمع المحيط الذي نشأ فيه عبد الله بن سبأ والبيئة التي صاغت أفكاره .

فنشأته كانت في بيئة يهودية، واليهودية التي عاشها كانت تمتزج بها تعاليم المسيحية ونستطيع بعد هذا أن نفهم الازدواجية في التأثير في الآراء التي نادى بها ابن سبأ وخاصة في عقيدة (الرجعة)و (الوصية) حينما قال : « لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع،ويكذب بأن محمد يرجع، وقد قال الله عزّ وجلّ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد فمحمد أحق بالرجوع من عيسى ... ولكل نبي وصي وكان علي وصي محمد...[5]

على كل حال فهي معلومات ضئيلة لا تروي غليلا، ولا تهدي سبيلا ولعل مرد ذلك إلى المصادر التي بين أيدينا، فهي لا تكاد تبين عن نشأة ابن سبأ ...كما أن المعلومات عن (فتوة) ابن سبأ، قبل ظهوره غير موجودة ونحن هنا مضطرون للصمت عما سكت عنه الأولون حتى تخرج آثار أخرى تزيل الغبش وتكشف المكنون...

---

[1] جواد علي .المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام،المرجع السابق ،ص537

[2] احمد حسين شرف الدين . اليمن عبر التاريخ .مطابع البادية للأوفست،الرياض،ط3، 1400 هـ - 1980 م،ص158

[3] نفسه،ص159،158

[4] جواد علي. تاريخ العرب قبل الاسلام، المرجع السابق. ص 34

[5] الطبري ، المصدر السابق .ج4،ص340.

المبحث الثاني: ظهوره بين المسلمين

يرد في تاريخ الطبري ويتابعه ابن الأثير في أحداث سنة 35هـ. أن ابن سبأ كان يهوديا من أهل صنعاء، أنه أسلم زمن عثمان،وأخذ ينتقل في بلدان المسلمين من قطر لآخر، محاولا ضلالتهم، فابتدأ بالحجاز، ثم البصرة، فالكوفة، ثم الشام فلم يقدر على شيء فيها فأتى مصر واستقر بها وطابت له أجواؤها فمتى كان ظهوره بين المسلمين ؟

أول ذكر لابن سبأ عند ابن كثير يرد في سنة 34هـ. وفيه الحديث عن ابن سبأ، وأنه كان سبب تألب الأحزاب على عثمان.[1]

ثم أورده في أحداث 35 هـ. مع الأحزاب الذين قدموا من مصر يدعون الناس إلى قتال عثمان ونصر الدين، وأنه أكبر الجهاد اليوم[2] .

وعند ابن عساكر أن ابن سبأ ظهر بين المسلمين، وأسلم زمن عثمان وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة، ومن بين تلك الأقطار (دمشق) ولكن دون أن يحدد سنة بعينها .

أما الطبري ويتابعه ابن الأثير فنجد عندهما ذكرا لابن سبأ بين المسلمين قبل سنة 34 هـ في الكوفة (فيزيد بن قيس) ذلك الرجل الذي دخل المسجد في الكوفة يريد خلع عثمان أو عامل عثمان (سعيد بن العاص) إنما شاركه وثاب إليه الذين كان (ابن السوداء) يكاتبهم[3] .

وهذا يعني ظهور ابن سبأ قبل هذا التاريخ، وتكوين أعوان له في الكوفة هم الذين اجتمعوا إلى (يزيد) وتأكيد هذا عند الطبري، ففي سنة 33 هـ. وبعد مضي ثلاث سنين من إمارة (عبد الله بن عامر) على البصرة يعلم بنزول ابن سبأ على (حكيم بن جبلة) وتكون المقابلة بين ابن عامر وابن سبأ [4] .

ونستمر في الاستقراء فنجد ظهورا لابن سبأ بين المسلمين قبل هذا، ففي سنة 30 هـ. يرد ابن السوداء الشام، ويلتقي بأبي ذر ويهيجه على معاوية[5]

---

[1] ابن كثير ,المصدر السابق ،ج7، ص 183

[2] نفسه ،ص 190

[3] الطبري ، المصدر السابق ,ج4 ،ص331

[4] ابن الأثير ,أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني. **الكامل في التاريخ**،طبعة دار صادر ،دار بيروت للطباعة و النشر،ج1965،3م،ص144

[5] ابن الأثير ,المصدر السابق ،ص114

1- ابن سبأ في الحجاز :

لما كان ظهوره في الحجاز قبل ظهوره في البصرة والشام ـ كما سبق بيان ذلك من خلال رواية الطبري ـ فلا بد أن يكون قد ظهر في الحجاز، قبل سنة 30 هـ، لأن ظهوره في الشام كان في هذا التاريخ وفي الحجاز لا تكاد تطالعنا الروايات التاريخية على مزيد من التفصيل ولعل في هذا دلالة على عدم استقرار أو مكث لابن سبأ في الحجاز، عدا ذلك المرور في طريقه التخريبي، ولكنه كما يبدو لم يستطع شيئا من ذلك فتجاوز الحجاز إلى البصرة .

2-ظهوره في البصرة :

وفي البصرة كان نزول ابن سبأ على رجل موتور من (بني عبد القيس) (حكيم ابن جبلة العبدي) وخبره كما ورد في الطبري :» لما مضى من إمارة ابن عامر ثلاث سنين بلغه أن في عبد القيس رجلا نازلا على حكيم بن جبلة وكان حكيم رجلا لصا إذا قفلت الجيوش خنس عنهم، فسعى في أرض فارس فيغير على أهل الذمة،ويتنكر لهم ويفسد في الأرض، ويصيب ما يشاء،. ثم يرجع فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان، فكتب إلى عبد الله ابن عامر :» أن أحبسه ومن كان مثله فلا يخرجن من البصرة حتى تأنسوا منه رشدا « فحبسه فكان لا يستطيع أن يخرج منها، فلما قدم ابن السوداء نزل عليه[1] .

وبقية خبر الطبري يفيدنا أنه لقي آذانا صاغية في البصرة، وإن كان لم يصرح لهم بكل شيء فقد قبلوا منه واستعظموه .

وشاء الله أن تحجم هذه الفتنة، ويتفادى المسلمون بقية شرها وذلك حينما بلغ والي البصرة (عبد الله بن عامر) خبر ابن سبأ فأرسل إليه، ودار بينهما هذا الحوار: « ما أنت ؟ فأخبره أنه رجل من أهل الكتاب رغب في الإسلام والجوار قال ابن عامر : ما يبلغني ذلك ! اخرج عني « فأخرجه حتى أتى الكوفة[2] .

1- ظهوره في الكوفة :

الذي يبدو أن ابن سبأ بعد اخراجه من البصرة، وإتيانه الكوفة لم يمكث بها طويلا حتى أخرجه أهلها منها كما في بقية خبر الطبري[3] .

---

[1] الطبري: المصدر السابق ،ج4 ،326

[2] نفسه،ص326.327

[3] ابن الأثير.المصدر السابق،ج3،ص144

ولكنه وإن كان قد دخل الكوفة ثم أخرج منها سنة 33 هـ. إلا أن صلته بالكوفة لم تنته بإخراجه فلقد بقيت ذيول الفتنة في الرجال الذين بقي بكاتبهم ويكاتبونه وتختلف الرجال بينهم[1] .

وسنشرح بعد إن شاء الله وأثناء حديثنا بالتفصيل عن آثار بن سبأ في الفتنة زمن عثمان ما أجملناه هنا، ونكتفي في هذا المقام بما أشرنا إليه .

2- ظهور ابن سبأ في الشام :

وفي ظهور ابن سبأ في الشام يقابلنا في الطبري نصان يعطي كل واحد منهما مفهوما معينا .

فيفيد النص الأول أن ابن سبأ لقي أبا ذر بالشام سنة 30 هـ . وأنه هو الذي هيجه على معاوية حينما قال له : ألا تعجب إلى معاوية ! يقول المال مال الله، كأنه يريد أن يحتجزه لنفسه دون المسلمين ؟ وأن أبا ذر ذهب إلى معاوية وأنكر عليه ذلك[2] .

بينما يفهم من النص الآخر : أن ابن سبأ لم يكن له دور يذكر في الشام، وإنما أخرجه أهلها حتى أتى مصر[3] ، وبناء على النص الأول فهناك رأي يقول أن ابن سبأ كان له دور واضح في الشام، وأنه هو الذي زرع الفتنة، وحرك على معاوية صحابيا جليلا أذعن عامة الشاميين لأقواله، وضاق بع ذرعا معاوية الحليم، وأخيرا ألب الفقراء على الأغنياء ... كل ذلك كان بتأثير ابن سبأ.

3- ظهور ابن سبأ في مصر :

إن أقرب توقيت لظهور ابن سبأ في مصر يكون في سنة 34 هـ .إذ أن دخوله البصرة وطرحه لأفكاره فيها ، وتعريجه على الكوفة ثم طرده منها، واتجاهه بعد ذلك إلى مصر... كل هذا يحتاج إلى سنة على الأقل ، ويؤكد هذا ابن كثير في تاريخه فيضع ظهور بن سبأ في مصر ضمن أحداث سنة 34 هـ[4] . وتابع (السيوطي) ذلك الرأي فأشار إلى دخول ابن سبأ مصر في هذا التاريخ[5] .

---

[1] الطبري،المصدر السابق ،ج4،ص327

[2] الطبري،المصدر السابق ،ص283

[3] نفسه، ص340

[4] ابن كثير،المصدر السابق، ج7،ص183

[5] السيوطي ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ،نشر مصطفى أفندي فهمي وأخويه،القاهرة،ج2، 1321هـ،ص164

وفي مصر اختار ابن سبأ النهج الذي يساعده على الظهور، وقبل هذا اختار العصبة التي ينزل عليها حتى يؤمن العثور، فلقد اعتمد على بعض أبناء وجهاء القبائل اليمنية النازلة بمصر، أمثال (الغافقي بن حرب العكي) ، (سودان بن حمران السكوني)[1].

لن نمضي أكثر من ذلك فنتيجة ذلك، وآثار ابن سبأ في مصر سنرجئها إلى الفصل الثاني حينما نتحدث بالتفصيل عن آثار ابن سبأ في إذكاء الفتنة زمن عثمان بمشيئة الله تعالى .

المبحث الثالث : محاولات التشكيك في وجود عبد الله بن سبأ

أولا : عبد الله بن سبأ في كتاب المتقدمين :

أ ـ عند أهل السنة :

يعتبر الجاحظ (255 هـ) من أوائل من أشار إلى عبد الله بن سبأ ، ولكن ليست روايته أقدم رواية وردت عن ابن السوداء كما يرى الدكتور جواد علي[2] .

فابن حبيب البغدادي (245 هـ) جاء على ذكر ابن سبأ حينما اعتبره أحد أبناء الحبشيات ، وقيل هذا رواية عن الشعبي (103 هـ) تفيد أن (أول من كذب عبد الله ابن سبأ) . بل إننا نجد آراء عبد الله بن سبأ وطائفته السبئية قبل هذا التاريخ، جاء ذلك في كتاب (الحسن بن محمد بن الحنفية) (90 هـ أو 100 هـ) ، والذي أمر بقراءته على الناس وفيه : « ... ومن خصومة هذه السبئية التي أدركنا، إذ يقولوا هدينا لوحي ضل عنه الناس ...» .

وفي الطبقات جاء ابن سعد(230 هـ) على ذكر السبئية، وإن كان لم يشر إلى ابن سبأ بعينه ويروي لنا الجوزجاني (256هـ أو 259 هـ) أن من مزاعم عبد الله بن سبأ إدعاؤه أن القرآن جزء من تسعة أجزاء، وعلمه عند علي وأن عليا نفاه بعد ما كان هم به .

أما البلاذري (279 هـ) فيذكره في جملة من أتوا إلى علي يسألونه عن رأيه في أبي بكر وعمر ؟ وحينما كتب علي الكتاب الذي أمر بقراءته على شيعته كان عند ابن سبأ نسخة منها وقد حرفها[3] .

---

[1] ابن العربي ، **العواصم من القواصم** ت: حاشية محب الدين الخطيب، الدار السعودية، الطبعة الثانية1387 هـ، ص112.113

[2] جواد علي .**تاريخ العرب قبل الإسلام**،المرجع السابق،ص67.

[3] انساب الأشراف،المصدر السابق،ص382.383

أما الطبري (310 هـ.) فقد أفاض في ذكر أخبار ابن سبأ وآثاره، معتمدا في الغالب على روايات (سيف بن عمر التميمي) ولذلك فابن سبأ عنده رأس الفتنة، وأساس البلاء ، ووافق الطبري ابن الأثير (630 هـ.) فأورد روايات الطبري بعد حذف أسانيدها[1] .

أما ابن عساكر (571 هـ) فيوافق الطبري في رواية سيف عن ابن سبأ، فيذكر بعضها، ويزيد على ذلك بروايات أخرى، لا ينتهي سندها إلى سيف. وهذا مما يزيد الأمر تأكيدا، خاصة إذا علمنا أن من هذه الروايات ما يرقى درجة إسنادها إلى الصحة، وبعضها الآخر إلى درجة الحسن كما سيأتي بيانه .

و الآن و بعد عرض أراء السنة في عبد الله بن سبأ ننتقل إلى الحديث عن عبد الله ابن سبأ عند الشيعة .

ب ـ عند الشيعة :

أورد الناشئ الأكبر (293هـ) عن ابن سبأ ، و السبئية ما نصه :»وفرقة زعموا أن عليا عليه السلام حي لم يمت ،و انه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ، و هؤلاء هم السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ و كان عبد الله بن سبأ رجلا من أهل صنعاء ،يهوديا ، اسلم على يد علي ،و سكن المدائن ...»[2]

و ذكر القمي (301هـ.) ان عبد الله بن سبأ اول من اظهر الطعن على ابي بكر و عمر و عثمان و الصحابة ،و تبرا منهم ، و ادعى ان عليا أمره بذلك ، وأن التقية لأتجوز ،فأخبر علي فسأله عن ذلك فأقر به ،و أمر بقتله فصاح الناس اليه من كل ناحية :» بأمير المؤمنين :أتقتل رجلا يدعو إلى حبكم أهل البيت ، والى ولايتك و البراءة من أعدائك فسيره إلى المدائن »[3] .

و يساير النوبختي (310 هـ) القمي في تأكيد أخبار عبد الله بن سبأ فيذكر مثلا أنه لما بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي بالمدائن قال للذي نعاه :» كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة ،و أقمت على قتله سبعين عدلا لعلمنا أنه لم يمت ،و لا يموت حتى يملك الأرض »[4].

---

[1] ابن الأثير المصدر السابق ،ج3 ،ص114

[2] الناشئ الأكبر. **مسائل الإمامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات**،ت:يوسف فان أس، دار النشر فرانتس شتاينر بفيسبادن،بيروت 1971 م،ص22.23

[3] سعد الأشعري .المرجع السابق ،ص20.

[4] النوبختي ، **فرق الشيعة** .،استانبول ، مطبعة الدولة، 1931 م.،ص23

و أورد الكشي (من رجل القرن الرابع) عدة روايات تؤكد حقيقة ابن سبأ ،و تبين شيئا من أخباره و هذه بعضها :

«حدثني محمد بن قلوية القمي،قال حدثني سعد بن عبد الله بن أبي خلف القمي، قال حدثني محمد بن عثمان ألعبدي عن يونس به عبد الرحمن بن عبد الله بن سنان قال :حدثني أبو جعفر عليه السلام : أن عبد الله بن سبأ كان يدعي النبوة ،و يزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا ،فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام ، و سأله فأقر بذلك و قال : نعم أنت هو ،و قد كان ألقي في روعي أنك أنت الله وأني نبي ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : ويلك قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا ثكلتك أمك و تب ،فأبى فحسبه و استتابه ثلاثة ايام فلم يتب فأحرقه بالنار و قال :إن الشيطان إستهواه فكان يأتيه و يلقي في روعة ذلك »[1].

و عن أبان بن عثمان قال :«سمعت أبا عبد الله يقول : لعن الله بن سبأ ، أنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين ، عبد الله طائعا ، الويل لمن كذب علينا ، و أن قوما يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا نبرأ إلى الله منهم »[2] .

و عن أبي حمزة الثمالي قال : «قال علي بن الحسين : لعن الله من كذب علينا ، أني ذكرت عبد الله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي ، لقد ادعى أمرا عظيما ما له لعنه الله ...»[3]

و يذكر أبو حاتم الرازي (322 هـ) أن عبد الله بن سبأ ،و من قال بقوله من السبئية كانوا يزعمون أن عليا هو الإله ،و أنه يحي و الموتى ،و ادعو غيبته بعد موته ، و وقفوا عليه.

هذه بعض من النصوص التي تزخر بها كتب الشيعة و مروياتهم عن عبد الله بن سبأ ،و قد ذكرتها مجردة عن التعليق لأنها _ في نظري _ كافية بذاتها لإعطاء العني المقصود ، فهي أشبه ما تكون بوثائق مسجلة تدين من حاول من متأخرى الشيعة أنكار عبد الله بن سبأ ،أو التشكيك في أخباره ، بحجة قلة ، أو ضعف المصادر التي حكت أخباره.! .

ثانيا : عبد الله بن سبأ في كتابات المستشرقين

اهتم المستشرقون بمسألة عبد الله بن سبأ فاتجهوا إلى كتب الفرق يدرسون و يحللون و ألفوا ما كتبه المؤرخون مادة تفتقر إلى التحليل و البيان ،تتناقص أحيانا مع ما كتبه أصحاب

---

[1] الكشي ،رجال الكشي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، كربلاء ،د.ت،ص98.99

[2] نفسه،ص100

[3] نفسه، ص 100

المقالات و الفرق (حسب زعمهم) ، و تعمق بعضهم في المسالة بحثا و تحليلا ، بينما بقي آخرون على سطح المشكلة و اكتفوا بنقل و ترديد كتابات غيرهم و من هؤلاء المستشرقين :

1 _ المستشرق : فان فلوتن[1] (1866 _ 1903) :

يرى فان فلوتن أن السبئية نسبة إلى عبد الله بن سبأ فهم أنصاره[2] و يرى كذلك أن الأفكار التي جاء بها ابن سبأ قد ظهرت أيام عثمان بن عثمان .

2_ يوليوس فلهاوزن[3] (1844 _1918) :

و هو من قدماء المستشرقين ،و من المهتمين بالمذاهب الاسلامية ،و كتابته عن عبد الله ابن سبأ جاءت في أكثر من كتاب ، و هو من الذين شككوا في رواية الطبري لأحداث عبد الله ابن سبأ نتيجة تجريح كتب الرجال لسيف بن عمر رواية الطبري لتلك الأحداث[4] .

و لكنه ينقل الرأي القائل بأن السبئية إنما سموا بذلك من اسم يهودي هو عبد الله ابن سبأ بل يؤكد ذلك قائلا : الواقع أنه من العاصمة صنعاء[5] .

و عندما يتحدث عن يهودية ابن سبأ يقول : إن هذا يقود إلى القول بأصل يهودي لفرقة السبئية ، و يلوح إلى أن مذهب الشيعة المنسوب إلى ابن سبأ إنما يرجع إلى اليهودية أقرب من رجوعه إلى الإيرانيين ،ثم يسرد الأدلة المعززة لذلك .

ويتحدث عن السبئية وأنهم لم يكن لهم شأن يذكر إلا على يد المختار الثقفي (67 هـ) وهؤلاء المختارية كانوا يؤمنون بما ذهب إليه ابن سبأ في عقيدة الرجعة كذلك حينما يتحدث عن الهاشمية يذكر أن آراءها لا تختلف عن آراء ابن سبأ في شيء[6] .

وينقل فلهاوزن رأى سيف بن عمر في دور السبئية في الفتنة ، إذ هم أصل الشر والبلاء ، وهم قتلة عثمان ، وفاتحوا باب الفتنة والحرب الأهلية ، ومؤسسو حزب الخوارج الثائرين ، وهم السبب في قتال المسلمين بعضهم لبعض ثم يتبع ذلك بقوله : « والحقيقة أن السبئية لم يصبح لهم

---

[1] أحد الذين رسموا تاريخ الفتوح الإسلامية وكتب في الدولة الأموية و العباسية ،و من اهم اثاره:الفتح العربي ،وبعض العقائد في عصر الأمويين ،وله دراسات عن تاريخ الطبري و العباسيين و خراسان و نشر مفاتيح العلوم للخوارزمي (نجيب العقيقي المستشرقون ،دار المعارف بمصر،ج2، ط3، 1965 م،ص 663.662)

[2] فلوتن ،فان ،**السيادة العربية والإسرائيليات في عهد بني أميه** ، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية 1965 م،ص80

[3] مستشرق المانى ودرس اللغات الشرقية، من أهم اثاره :تاريخ اليهود و التمهيد للتاريخ الإسلامي و دلذ علم 1887 إشتغل بتحقيق الطبري فعرف بشخصيات الرواة فيه جرحا و تعديلا، وله أيضا الخوارج والشيعة،وتاريخ الدولة العربية(مترجمان)((نجيب العقيقي ،المستشرقون،ج2،ص725.724)

[4] عبد الرحمن بدوي،المرجع السابق،ج2،ص20

[5] فلهوزن يوليوس، **الخوارج والشيعة**، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثانية ،1976 م،ص170

[6] فلهوزن يوليوس. **تاريخ الدولة العربية** ، لجنة التاليف والترجمة والنشر،القاهرة 1958 م.ص477

شأنهم التاريخي إلا على يد المختار الثقفي ، ولن كانوا قد كانوا موجودين قبل ذلك « والحق عنده إن مصطلح (السبئية) إنما ينطبق على غلاة الشيعة فحسب وهذا استعماله الدقيق كما يقول[1] .

وعند حديثه عن (عقيدة تناسخ الأرواح) التي جاء بها ابن سبأ ،و أصبحت بعد ذلك ضمن عقيدة السبئية ،ذكر أن هؤلاء السبئية وجهوها توجيها خاصا فقالوا : إن روح الله تعلى التي تسري في الأنبياء تنتقل بعد موت كل نبي إلى النبي الذي بعده و أن روح محمد خاصة انتقلت إلى علي و هي باقية في سلالته[2] .

و جملة القول فان فلهاو زن هو الأخر لا ينكر وجود ابن سبأ بل هو يذكر أنه من صنعاء و أن اغلب المذاهب التي جاءت بعده إنما قبست من أفكاره ،ولم يزد بعضها على ما جاء به شيئا،و من هنا نتبين خطا (لويس) في فهمه و نقله لأراء فلهاو زن كما سيأتي .

3 _ المستشرق : لبفي دبلافيدا[3] (المولود عام 1886) :

و قد مر بعبد الله بن سبأ و هو عن خلافة علي من خلال كتاب أنساب الأشراف للبلاذرى ، و استشكل نصا أورده البلاذري ،فيه الإشارة إلى ابن سبأ العربي ،فعلق في الحاشية أن هذا هو الموضع الوحيد _ فيما يعلم _ الذي يذكر فيه ابن سبأ منسوبا إلى قبيلة عربية و حينما يرجع هذا الخبر يرى أن ثمة تعارض بين أن يكون ابن سبأ عربي النسب يهودي الأصل و يرى أن صفة اليهودية الواردة في القول ما هي إلا استنتاج لأولئك الذين يعجزون عن أن يقروا بأن مؤسس الشيعية كان من أصل عربي[4] .

و الملاحظ على هذا التعليق أنه استنتاج لا مبرر له ، ذلك لأن ما ورد في البلاذري من كون ابن سبأ عربي همداني لا يمنع أن يكون من أصل يهودي و ذلك لأن اليهودية في اليمن لم تكن قصرا على حمير و إنما تعدتها إلى غيرها كما مر معنا ، و يقول الدكتور بدوي : «و انه لمن العجب حقا أن يتصور دلافيدا أن ثم تناقضا بين أن يكون المرء يهوديا ، و أن يكون من قبيلة عربية « .

---

[1] فلهوزن يوليوس. الخوارج والشيعة،المرجع السابق،ص38.

[2] فلهوزن يوليوس .تاريخ الدولة العربية، المرجع نفسه ، ص61.63

[3] أستاذ اللغة العربية واللغات السامية المقارنة في جامعة روما، ومن كبار الباحثين في تاريخ الدين الإسلامي،خلف آثارا كثيرة منها :خلافة علي في كتاب أنساب الأشراف للبلاذري ، و دراسة عن الرسول صلى الله عليه و سلم ،وله فهرس المخطوطات العربية الإسلامية في المكتبة الفاتيكانية،كما كتب عن عمر و عثمان ،والخوارج... (تجيب العقيقي ،المستشرقون،ج1،ص390.391.

[4] عبد الرحمن بدوي،المرجع السابق،ج2،ص30

4 _ جولد تسيهر [1] (1931) :

و هو من المستشرقين الذين لا يشكون في عبد الله بن سبأ ، و لا ينكرون المبادئ التي جاء بها ، و هو يذكر أن الإغراق في تأليه علي إنما صاغه في مبدأ الأمر عبد الله بن سبأ و أنه حدث في بيئة سامية لم تكن تعرف من هذه الآراء شيئا قبل ذلك[2] .

5 _ المستشرق : رينولد نكلسن[3] (1945) :

و يعتبر نكلس عبد الله بن سبأ هو المؤسس لطائفة السبئية ، و أنه يمني من أهل صنعاء ثم يأخذ في الحديث عن مبادئ ابن سبأ التي جاء بها و خاصة عقيدة الرجعة و الوصية و أنه بشر بعقيدة الرجعة في مصر بعد أن استقر فيها .

و يحكي رأيه في دور ابن سبأ في تلك المؤامرة الواسعة النطاق ، و التي أشاعها ابن سبأ من أجل علي فدخل في مراسلات سرية مع المتذمرين في مختلف أقاليم الخلافة .

ثم يشير إلى علاقة الشيعة (وخاصة الغلاة منهم) بعبد الله بن سبأ و أن الأفكار التي جاؤوا بها إنما قبسوها من ابن سبأ[4] .

6 _ دوايت م . رونلدسن :

يتحدث عن ابن سبأ مؤقتا ظهوره بين المسلمين زمن خلافة عثمان ، و أنه قطع البلاد الإسلامية طولا و عرضا يريد إفساد المسلمين و هو يؤكد تأليهه لعلي ، و اعلانه أن أبا بكر و عمر و عثمان كانوا غاصبين للخلافة[5] .

و يشير إلى دوره الرئيسي في المؤامرة التي حكيت في مصر و انتهت إلى المدينة بقتل عثمان ، و إن ابن سبأ كان مع الركب الذين قدموا المدينة من مصر . و يتحدث عن ابن سعد و أنه لم يشر إلى ابن سبأ إلا إلى كونه أحد القراء الذين صحبوا عليا[6] و ينقل عن ميرخوند[7] أن أن الكاهن اليهودي جاء المدينة و أسلم و هو يأمل أن يكرمه عثمان و يحترمه ، فلما لم يحصل

---

[1] مستشرق مجري انتقل إلى سوريا،ومنه إلى مصر حيث زار الازهر والتقى بمحمد عبده،من آثاره العلمية :الاساطير عند اليهود،أدات الجدل عند الشيعة،(نجيب العقيقي ،المستشرقون،ج3،ص906)

[2] جولد تسيهر ،**العقيدة والشريعة في الإسلام** ،ت:د.محمد يوسف موسى..وآخرون.، دار الكتب الحديثة بمصر،ط2،ص229

[3] احد البارزين في الأدب القديم،تعلم اللغة العربية و الفارسية،ومن آثاره:التصوف الاسلامي ،و صنف الأدب العربي في ضوء التاريخ السياسي والعمراني للعرب والاسلام،ووضع فهرس الخطوطات الشرقية في مكتبة إدوارد برون الموقوفة على جامعة كمبريدج (نجيب العقيقي ،المستشرقون،ج2،ص525.526)

[4] رينولد نكلس ،**تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الإسلام**،ترجمة وتحقيق:صفاء خلوصي، مطبعة المعارف/ بغداد 1388 هـ - 1969 م.ص ص 325.326

[5] دوايت،**عقيدة الشيعة** ، مكتبة الخانجي، مصر 1365 هـ - 1946 م.ص58

[6] ابن سعد،**الطبقات الكبرى** ،طبعة دار صار، بيروت،ج4،ص163

[7] مورخ شيعي.

له ما أراد أخذ يتصل بالناقمين عليه ، و ينكر على عثمان إدارته علنا و بلغ عثمان خبره أخيرا فقال : « و من هذا اليهودي الذي أتحمل منه هذا ؟ « و أمر بنفيه من المدينة ، ثم ذهب إلى مصر و صار من المشاغبين العاملين ضد عثمان ، و يعزو داويت إلى ابن سبأ دور تغيير مفهوم الخلافة إلى حق الوراثة الإلهية فيقول : « ... و جاءت تعاليم ابن سبأ و دعوته في أن عليا بكونه وصي النبي صلى الله عليه وسلم انتقل إليه النور الإلهي أو الروح الإلهي التي يتمكن من توريته من شاء [1]« .

ثالثا : ابن سبأ في كتابات المحدثين :

أ . السنة :

1. يرى الدكتور طه حسين أن ابن سبأ إستغل الفتنة و لم يثيرها[2] و يستغرب ما يروى أن ابن سبأ هو الذي لقنا أبا ذر نقد معاوية في قضية المال و من ملاحظاته العلمية ، أنه لا يجد ذكرا لابن سبأ في المصادر المهمة التي قصت أمر الخلافة على عثمان ، مشيرا إلى ابن سعد في طبقاته ، و البلادري في أنسابه ، و هو يثبت مرة و ينفي أخرى ، و يتشكك ثالثة بما لا يدع للقارىء فرصة للقرار على رأي معين فنجده مرة يقول :(و أكبر الظن أن عبد الله بن سبأ هذا ان كان كل ما يروى عنه صحيحا ، إنما قال ما قال ودعا ما دعا اليه بعد أن كانت الفتنة و عظم الخلاف ...)[3]

ثم نجده مرة أخرى يجعل من إغفال المؤرخين له و لإتباع السبئية في أحداث صفين دليلا على أن أمر ابن سبأ و السبئية إنما كان متكلفا منحولا و أنه إلى الاختراع أقرب منه إلى الحقيقة بل يرى أن أحداثه لا تستند إلى أساس من الحق و التاريخ الصحيح .

ثم يعود فيقول : ان ابن السوداء لم يكن الا وهما ، و ان وجد بالفعل فلم يكن ذا خطر كالذي صوره المؤرخون و ينتهي إلى القول : (فلندع ابن السوداء هذا و أصحابه سواء كان أمرهم و هما خالصا أم أمرا غير أي خطر بولغ فيه كيدا للشيعة [4]) .

هذه خلاصة آراء الدكتور ، و لنا وقفة عند ملاحظته إغفال ابن سعد و البلاذري ذكر ابن سبأ ، ففي نظري أن عدم ذكر ابن سعد و البلاذري (على فرض عدم ذكرهما) لابن سبأ لا يقوم

---

[1] دوايت،المرجع السابق،ص 83

[2] طه حسين ،الفتنة الكبرى (عثمان)،دار المعارف بمصر، ط2، 1970 م،ص134

[3] نفسه ،ص134

[4] نفسه ، ص93.

دليل على الإنكار أو التشكيك و هل استوعب هذان المصدران ـ على ما استوعباه ـ كل أحداث التاريخ الإسلامي في تلك الفترة حتى نقف وقفة المشدوه أو المتشكك إذا لم يذكرا عن ابن سبأ ؟ و لماذا هذا التجهيل في بقية مصادر التاريخ ، و المرور على أهمها و هو الطبري و كأنه عديم القيمة ساقط الاعتبار ؟ و أخيرا فهل من شروط صحة الرواية التاريخية تضافر كتب التاريخ على ذكرها ؟ و هل يجهل الدكتور أن جزءا كبيرا من أنساب الأشراف لا يزال مخطوطا ؟.

2_ و يشير الدكتور جواد علي في بداية بحثه عن ابن سبأ إلى الغموض الذي يكتنف شخصيته ، حتى أن الباحث فيه ليخرج منه و هو لا يعرف نسبه و أهله شيئا ، سوى أنه يهودي ، و أن أمه كانت سوداء ، و لذلك عرف بابن السوداء[1] .

و هو يؤكد أن الجاحظ (255 هـ) هي أقدم رواية وردت عن بن السوداء ! ، و يعتبر الدكتور جواد علي قصة عبد الله بن سبأ مع أبي ذر (في شأن المال) قصة موضوعه ، و من ملاحظاته أن كتب الشيعة قد غالت في ذم ابن سبأ ، و التنسل منه ، و التبرؤ منه ، و زادت في نسبة الغلو إليه و هذا ما يستحق الدرس[2] .

و يعال جواد على اهتمام المستشرقين بالكتابة عن ابن سبأ ، بأن هناك طائفة منهم كانت على علمها و تدقيقها تتعصب على الإسلام ، و تتمسك حتى بالتافه من الروايات و الأحاديث الموضوعة التي نص علماء الحديث على كذبها و تتخذها حجة لإثبات أثر اليهودية أو النصرانية في الإسلام و أصول الدين. و هو يأخذ على الطبري و رواته تضخيم دور ابن سبأ في مصر ، و إثارته للفتنة فيها ، و يقول : إن الرواة الآخرين قد أوضحوا أن هذه الآثار و تلك الأفكار كالرجعة ، و الوصية و الإمامة ، و الطعن على الأمراء إنما وضعها في العراق و بالكوفة بالذات ، و أن أحد من الرواة غير (يزيد الفقعسي) لم يذكر هذه الآثار لابن سبأ في مصر .

و أخيرا ، و على الرغم من الجهد الذي بذله الدكتور جواد علي في الكتابة عن ابن سبأ ، و عن تحليل أخباره ، و هو جهد لا ينكر ... فإن الدكتور يكاد يجعل من ابن سبأ أسطورة أقرب منها إلى الواقع ! فهو يتحدث عن السبئية القادمة من مصر إلى المدينة و يتساءل : لماذا دعاهم الطبري السبئية ؟ ألانهم إتباع عبد الله بن سبأ ؟ ثم يقول : و لكن أين

[1] جواد علي .المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المرجع السابق ، ج6،ص66
[2] نفسه،ص100

كان هذا الرجل في هذا الوقت ؟ و لم يشترك مع المصريين أو غيرهم عندما ذهبوا إلى المدينة ؟ و قد نسبت أكثر المصادر سبب الفتنة إلى أشخاص آخرين أم لأن جمهرتهم كانت من أهل اليمن ؟ و قد كانت العادة أن يقال لهم (سبأيين) أو (حميريين)[1] .

و ينتهي جواد علي إلى القول : بأن هذه السبئية اليمنية هي التي دعت الإخباريين _ لسبب ستراه _ إلى خلق أسطورة عبد الله بن سبأ ! هذا الذي جعل الرواة تكتب عنه هذه المقالات[2] .

أما السبب الذي إليه الدكتور جواد علي فملخصه : أن هذه المؤامرة كان أفرادها سبئية أم غيرها فهي لا تعدو أن تكون مجموعة عناصر يدفعها و يحرضها أناس يسعون إلى الفتنة منذ عهد الرسول صلى الله عليه و سلم و أن مقتل عمر بن الخطاب لم يكن ببعيد عن هذه المؤامرة ، كما أن كعب الأحبار كان من أفراد هذه المؤامرة و على علم بقتل الخليفة ، و أن عمر قد أحسن بدور كعب في المؤامرة.

3ـ أما الدكتور عمار الطالبي : فقد تناول كثيرا من القضايا التي أثيرت في مسألة عبد الله ابن سبأ فناقشها ، وأبان وجهة نظره فيها ، فهو مثلا يرد على من زعم أن ابن سبأ هو عمار ابن ياسر مشيرا إلى أن الوقائع التاريخية لا تسمح لنا بذلك ، إذ أن عثمان لما هاجت الفتنة وعظم شأن السبئية في مصر أرسل ضمن من أرسل عمار إلى مصر ليستطلع الخبر ... وإذن فهما شخصان أحدهما في مصر والآخر في المدينة[3] ، ويتابع بأن الظروف التاريخية إذا كانت لا تسمح لنا بإصدار هذا القول ، فكذلك الظروف النفسية لا تسمح لنا هي الأخرى بذلك ، إذ يلزم من ذلك أن يكون عمار بن ياسر هو الذي أشاع فكرة الوصية والرجعة والمهدية والزندقة مما لا يستطيع أي مؤرخ أن ينسبه إلى عمار الصحابي الجليل ، ليس ذلك فحسب ، بل يلزم من التوحيد بين الشخصيتين نسبة اليهودية إلى على عمار رضي الله عنه ، والتي أثبتها قدماء أهل السنة والشيعة لعبد الله بن سبأ[4] .

أما اتفاق الشخصيتين في الكنية (ابن السوداء) فهذا ـ كما يقول الطالبي ـ لا يقوم دليلا على أنهما شخص واحد، لأننا نجد أعلاما كثيرين متشابهين في الكنى ، مما جعل بعض المؤرخين يؤلفون في المتشابه من الأسماء والكنى لبيان الفرق بينهما[5] .

---

[1] محمود شاكر ، الفتنة الكبرى ، الرسالة المصرية ، السنة16 (1948)،ع 778.
[2] محمود شاكر ، المرجع السابق ،ص910.
[3] عمار الطالبي ،آراء الخوارج ،نشر المكتب المصري الحديث، الإسكندرية،ت د ، ص72.
[4] نفسه ، ص74
[5] نفسه،ص73

أما القول بان ابن سبأ شخصية وهمية أوجدته الخصومة بين السنة والشيعة[1] فيتولى الطالبي الرد عليه بأنه لو كان وضعه من قبل التشنيع على الشيعة فلماذا يترك الشيعة الرد ، وهم الذين يترصدون خصومهم ، لكن لم يكن شيء من هذا ، وخاصة في كتب الشيعة التي ناضل أصحابها وجادلوا عن مذهبهم[2] ، هذا من جهة ، ومن ناحية أخرى فلم يكن ابن سبأ وحده ، وإنما كان له جماعة في البصرة والكوفة ومصر ، وعليه فليس شخصية منفردة يسهل وضعها أو إنكارها، وإنما شخص تحوطه جماعة تجعل من العسير اختراعها من قبل الخصوم.

ثم يناقش الطالبي مزاعم القائلين بأن ابن سبأ لم يكن إلا من اختراع المحدثين في القرن الثاني الهجري، بأن التدوين في التاريخ والحديث إنما نشط في القرنين الثاني والثالث الهجري فكيف يصح القول بأن ما يقوله هؤلاء المدونون في هذا العصر مخترع منحول.[3]

4 ـ ويؤكد الدكتور محمود قاسم في معرض كتاب له أن ابن سبأ رسم خطة محكمة ماكرة أفسدت من أمور المسلمين كثيرا ، وأدت بالتالي إلى الفتنة السياسية ، والدينية التي مازالت آثارها ماثلة في مذاهب بعض المتصوفين في الإسلام[4] .

ويقطع بذلك إذ يقول : « ونخشى أن يكون هذا الرجل قد حرك من وراء حجاب نفرا ممن أسهموا في الصراع السياسي أيام الحروب بين الإمام علي وبين معاوية ، ثم يشير إلى (سلمان الفارسي) و (أبي ذر الغفاري) و (حذيفة بن اليمان) « ، مرجحا ذلك بتشيع هؤلاء في الفترة التي أظهر فيها ابن سبأ دعوته ، وعند حديثه عن آثار ابن سبأ ، يرى أن الأفكار التي جاء بها كان لها رجع قوي على كثير من المذاهب ، ومنها متصوفة القرنين الثالث والرابع الهجريين ويرى أكثر من ذلك حينما يظن أن هذا المخطط اليهودي ، هو الذي ابتدع مشكلات القضاء والقدر ، والتشبيه ، والتجسيم ، والتأويل الباطني لآيات القرآن الكريم[5]

5 ـ وقد درس الدكتور نايف محمد معروف مسألة عبد الله بن سبأ ، وطائفة السبئية من خلال كتابات السنة والشيعة ، المتقدمين منهم والمتأخرين ، وكذلك أشار إلى بعض كتابات المستشرقين وآرائهم ، ثم خلص إلى النتيجة التالية :

---

[1] عمار الطالبي ، المرجع السابق ، ص 143

[2] نفسه،ص75

[3] نفسه،ص77

[4] محمود قاسم ، دراسات في الفلسفة الإسلامية ،دار المعارف/ مصر، ط2، 1976 م.،ص109

[5] نفسه،ص110

« بعد استعراضنا لآراء القدامى والمحدثين من الرواة والباحثين ، يمكننا القول أن عبد الله ابن سبأ لم يكن وهما ولا أسطورة ، بل كان شخصية سياسية قوية ، وأنه كان يترأس جمعية سياسية منظمة تعمل في الخفاء والعلن ، ونسبت هذه الجمعية إلى شهرة مؤسسها فعرفت السبئية [1]

6 ـ أما الدكتور سعدي الهاشمي ، فبعد أن نقل اتفاق المحدثين وأهل الجرح والتعديل والمؤرخين وأصحاب كتب الفرق والملل والنحل ، والطبقات والأدب ، والكتب الخاصة في بعض فنون العلم على وجود شخصية ابن سبأ أشار إلى أصناف المنكرين وهم ما بين مستشرق حاقد ، ومتابع لهم ، ومتقرب الزلفى لمدارسهم ، ومسلم جاهل ، أو منكر مكابر من بعض شيعة اليوم ، وهؤلاء وأولئك جانبوا الحق الصريح ، وتمسكوا بأقوال متناقضة هي أوهي من بيت العنكبوت ، وعند حديثه عن المستشرقين قال : « أما المستشرقون فأنكروه وقالوا أنه شخصية وهمية تخيلها محدثو القرن الثاني[2].

أما شيعة العصر الحاضر فيرى الدكتور الهاشمي أن أسباب إنكارهم لابن سبأ عقيدته التي بثها ، وتسربت إلى فرق الشيعة حتى المتأخرة منه ، ثم يشير إلى طائفة من كتب الشيعة الموثقة عندهم ، والتي جاء أصحابها على ذكر عبد الله بن سبأ وعقيدته .

ويستفيض الهاشمي في دراسة عقيدة ابن سبأ وضلالاته من كتب الشيعة أيضا ، ومن بين الجوانب التي درسها الدكتور الهاشمي موقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأهل بيته من ابن سبأ وأتباعه، وموقف أتباع عبد الله بن سبأ لما سمعوا بمقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[3]

وفي نهاية هذه الدراسة قال الدكتور الهاشمي : « وبهذه النقول والنصوص الواضحة المنقولة من كتب القوم تتضح لنا حقيقة شخصية ابن سبأ اليهودي ، ومن طعن من الشيعة في ذلك فقد طعن في كتبهم التي نقلت لعنات الأئمة المعصومين عندهم في هذا اليهودي (ابن سبأ) ، ولا يجوز ولا يتصور أن تخرج اللعنات من المعصوم على مجهول وكذلك لا يجوز في معتقد القوم تكذيب المعصوم ... « [4] .

---

[1] نايف محمود معروف ،**الخوارج في العصر الأموي** ،دار الطليعة/ بيروت،ط1397،1 هـ ـ 1977 م،ص 48

[2] سعدي الهاشمي، **عبد الله بن سبأ حقيقة لا خيال** ،محاضرات الجامعة الاسلامية،1399،ص55

[3] نفسه،ص221

[4] نفسه ،ص223

وأخيرا فكتابة الدكتور الهاشمي تعتبر ـ في نظري ـ في طليعة الكتابات المركزة حول موضوع عبد الله بن سبأ ، ولئن كنا قد أجملنا نقاط البحث عنده ـ وفيها ما يستحق الوقفة والتأمل ـ فهو أمر يستلزمه الاختصار في منهج بحثنا ومقولاتنا تلك ، ولئن كان هو لم يمر على دور ابن سبأ في أحداث الفتنة ، واكتفى بإثبات شخصيته في كتب الشيعة ، فقد أشار إلى أن ذلك يحتاج إلى محاضرات أخرى[1].

ب ـ الشيعة:

من أبرز هذه الكتابات الشيعية الحديثة كتابة :

الدكتور علي الوردي ، الدكتور كامل مصطفى الشيبي و الدكتور الوردي هو الأصل فيما سنورده من آراء ، أما الشيبي فهو ناقل عنه مؤيد لآرائه و سنقتطف بعضا من كتابتهما بما يبين عن آرائهما ... يقول الوردي :

« يخيل إلي أن حكاية ابن سبأ من أولها إلى آخرها كانت حكاية متقنة الحبك رائعة التصوير ... »[2] ، و حينما يتساءل عن وجود ابن سبأ في صفين ، و كيف غاب عن هذه المعركة ، و هو الذي كان بصيرا ، و دخيل في الجمل ؟ و أن المؤرخين لم يستطيعوا الإجابة على هذا السؤال المحير ! يجيب هو : بأن ابن سبأ لم يكن له وجود حقيقي حتى يختفي ، وأنه لم يكن إلا وهما ، ويعتقد ـ الوردي ـ موازنة بين ابن سبأ ، وبين الصحابي عمار بن ياسر ، مفترضا أن أحد الرواة ربما سمع قريشا تلهج بذم ابن السوداء وتشتمه فظن أنها تعني شخصا آخر غير عمار بن ياسر[3] .

ومن دعائم التشابه بين الشخصيتين (كما يرى الوردي) ما يلي :

1 ـ كان ابن سبأ يعرف بابن السوداء ، وعمار كان يكنى بابن السوداء أيضا .

2 ـ كلاهما من أب يماني ، وينسبون إلى سبأ بن يشجب أصل أهل اليمن .

3 ـ كلاهما كان شديد الحب لعلي ، ومن محرضي الناس على بيعته .

4 ـ ذهب عمار إلى مصر أيام عثمان ، وأخذ يحرض الناس على عثمان ، ومثل هذا ينسب إلى ابن سبأ .

---

[1] سعدي الهاشمي ، المرجع السابق.ص223

[2] علي الوردي ،وعاظ السلاطين .طبعة بغداد،1954 م،ص273

[3] نفسه،ص273.

5 ـ ينسب إلى ابن سبأ القول بأن عثمان أخذ الخلافة بغير حق، و أن صاحبها الشرعي هو علي ، وهذا نفسه كان يقول به عمار .

6 ـ و يشترك الاثنان في عرقلة مساعي الصلح في معركة الجمل .

7 ـ قالوا عن ابن سبأ أنه هو المحرك لأبي ذر في دعوته الاشتراكية ! و صلة عمار بأبي ذر وثيقة جدا ، و يخيل للدكتور الوردي أن هذا الكلام الذي قيل لأبي ذر هو كلام عمار لا كلام ابن سبأ[1]

و يخلص الوردي من هذا كله أن ابن سبأ لم يكن سوى عمار بن ياسر ، و أن قريشا حين اخترعته كانت ترمز به إلى عمار بن ياسر ، فلما قتل عمار في صفين و ذهب مقتله هدرا ، لم ترى قريش فائدة من تكرار قصة ابن سبأ في هذا الموقف فأهملتها ، و صار المؤرخون بعدئذ يهملونها تبعا لذلك.»[2]

و من آراء الوردي أن عثمان لم يكن يعرف عن ابن سبأ شيئا ، فإذا كان ابن سبأ قد أثار الدنيا على عثمان حقا ، فلماذا لم يدر به عثمان أو لم يخبره به أحد و لأنه في الأمصار ؟ و كان عثمان يتهم عليا ، و عمارا ، و عبد الله بن العباس ، بتحريض الناس عليه ، و لكنه لم يقل شيئا عن المحرض الأكبر الذي يدعى ابن سبأ كما يقول الوردي .

و على العموم فهذه الآراء التي قال بها الوردي لا تعدو أن تكون مجرد ظنون و تخيلات كما توحي عباراته بذلك و هذه بعضها ... أرجح الظن عندي و يخيل إلي، أن هذا ظن أذهب إليه و بعض الظن إثم كما يقول القرآن و لعل ، و ربما ، و الأحرى ، هذا فوق ما أشار إليه الكاتب (علي البصر) من أن آراء الوردي التي أودعها في كتابه (وعاظ السلاطين) قد سبقه إليها الأستاذ (هدايت ألوحكيم الهلي) أستاذ جامعة لندن [3] .

و لكن الغريب أن مجرد هذه الظنون ، و تلك الافتراضات عند الوردي تعرض لها الدكتور الشيبي فقال عنها : « أنها أدلة مقنعة و منطقية[4] ... « و راح ابعد من هذا يبحث و يؤكد تدعيمه لهذا الرأي ، و مضيفا إلى هذه الأدلة دليلا يرى إلى أن الوردي غفل عنه و لم يلتفت إليه فقال : « ... يضاف إلى هذه الأدلة كلها دليل لم يلتفت إليه الدكتور الوردي و ذلك

---

[1] علي الوردي . المرجع السابق ، ص274.276

[2] نفسه ،ص273

[3] مقال في مجلة الثقافة الإسلامية (بغداد).السنة الأولى (1375 هـ ـ 1956 م) العدد 11 ،ص14

[4] كامل مصطفى الشيبي .الصلة بين التصوف والتشيع .دار المعارف، مصر، ط2،ص41.

أن الطبري في تطرقه إلى حرب الجمل قد عرض لأنصار علي فيها فكان إذا عددهم و ذكر اسم عمار في جملتهم أغفل ذكر انب السوداء ، و إذا ذكر ابن السوداء تحامي ذكر اسم عمار ، مما يرجع أن الرجلين شخص واحد « [1]

و يؤكد الشيبي هذا الرأي في موضع آخر من كتابه حيث يقول : « رأينا فيما سبق أن ابن سبأ هو عمار بن ياسر نفسه ، و بينا السبب في ذلك و هذا الرأي الذي خلص إليه الوردي ، و تابعه فيه الشيبي ، ترده كتب الجرح و التعديل و كتب الرجال الموثقة عند الشيعة ، فهي تذكر عمار بن ياسر ضمن أصحاب علي و الرواة عنه ، و هو أحد الأركان الأربعة عندهم ، ثم هي تذكر في موضع آخر ترجمة عبد الله بن سبأ في معرض السب و اللعنة[2] فهل يمكن اعتبار الرجلين شخصية واحدة .

و إذا كان الوردي يرى أن من عوامل توافق الشخصيتين ذهاب كل منهما إلى مصر زمن عثمان فإن استقراء النصوص ، و معرفة تاريخها يعطي مفهوما غير الذي فهمه الوردي و بالتالي ينتصب هذا العامل دليلا على استقلال كل من الشخصيتين ، فعمار إنما بعثه عثمان إلى مصر سنة 35 هـ ، بينما كان ظهور ابن سبأ سنة 30 هـ ، كما في الطبري[3] و هو الذي ساق الخبرين . و شيء آخر ، و هو أن الطبري (و هو مصدر في هذه الأخبار) أورد أن من الذين استمالوا عمارا في مصر قوم منهم عبد الله بن سبأ .

و أما قول الوردي بأن عمار كان يقول بأن عثمان قد أخذ الخلافة بغير حق ، و أن صاحبها الشرعي هو علي ، و بالتالي فهو يشترك مع ابن سبأ في هذا الرأي ... فإن هذه المقولة زعم يحتاج إلى دليل ، بل أن واقع عمار و علاقته بعثمان رضي الله عنهما تنفي هذا الزعم و تثبت لعمار الصحابي وجها آخر غير الذي نسبه إليه الوردي ، و لنقرأ في تاريخ الطبري هذا النص كشاهد على ما نقول : فالفتنة لما هاجت في أقطار الدولة الإسلامية زمن عثمان جاء رجال إلى عثمان و قالوا له : « نشير عليك أن تبعث رجالا ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم ، فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة ، و أ رسل أسامة بن زيد إلى البصرة ، و أرسل عمار بن ياسر إلى مصر[4]. فعمار إذن أحد الرجال الذين يثق بهم عثمان

---

[1] كامل مصطفى الشيبي ، المرجع السابق .ص43

[2] الطوسي،رجال الطوسي ، المكتبة و المطبعة الحيدرية . النجف، ط1، 1381 هـ - 1961 م،ص51.46

[3] الطبري ، المصدر السابق ج 4 ،ص 241.

[4] نفسه ،ص341

فهل يصح لنا أن نتهم عمارا بأن له وجها آخر كان يخفيه عن عثمان و هو يرى عدم أحقيته بالخلافة ، و أن صاحبها الشرعي هو علي بن أبي طالب ، و قد تقدم بنا القول أن التشابه في الكنى لا يجعل من الرجلين شخصية واحدة ، كما تقدم بنا أيضا أن الظروف التاريخية و طابع كل من الشخصيتين لا تسمحان لنا بقول رأي الوردي هذا و الاتجاه إلى افتراض أن شخصيتين ورد ذكرهما في المدونات التاريخية المتواترة ، ينبغي أن يستند إلى حجج قوية مقنعة ، و إلا لتوالت المزاعم المتخبطة من هذا القبيل .

نكتفي إلى هذا الحد بالتعليق على رأى الوردي و متابعه ، الشيبي حتى لا نعطي الموضوع أكثر مما يستحق ، و حتى تكون هناك فرصة للقارئ ليجد في نفسه من عوامل الرد ما يجعل من المستحيل أن يكون ابن سبأ هو عمار ا .

و إني لأعجب كيف يستحوذ على قضايا التاريخ ؟ و كيف تلوى عنق النصوص لتوافق هوى في نفوس أصحابها ؟ و بالتالي فإني أؤكد حاجة البحث إلى التجرد ، و أميل إلى رأي ابن خلدون في استخدام العقل و الحس التاريخي [1] و أعتقد أن في هذا أمانا من الشطط ، و الضرب في التيه بلا دليل ! .

3 ـ مرتضى العسكري :

و هو من أكثر الشيعة المحدثين اهتماما بمسألة عبد الله بن سبأ ، و ألف في ذلك كتبا يعول عليها كثير من باحثي الشيعة المحدثين ، و نظرا لأهمية كتابات العسكري في موضوعنا و لأنها تحوي أفكار العسكري ، و يعتمد عليها من جاء بعد العسكري فلنتوقف عندما قليلا ... و تربو كتابة العسكري حول موضوع ابن سبأ على ستمائة صفحة (من الحجم المتوسط) و هي موزعة في كتابين :

*الجزء الأول : عبد الله بن سبأ بحث حول ما كتبه المؤرخون و المستشرقون ابتداء من القرن الثاني الهجري

*الجزء الثاني : عبد الله بن سبأ و أساطير أخرى .

و في الجزء الأول : أشار العسكري إلى منشأ البحث عنده ، و هو تجليه التاريخ من الكثير من الروايات المدسوسة الموضوعة ، و من أهمها الأخبار التي رواها سيف بن عمر و أشار أنه توقف عن نشرها زهاء سبع سنين كان يمنعه من ذلك تهيب إثارة العواطف في الشرق

[1] عبد الرحمن إبن خلدون ،المقدمة ،دار إحياء التراث ،بيروت،ص9

المسلم لاسيما والبحث يهدم كثيرا من الأسس التي بني عليها أساتذة التاريخ مبان لا تقبل النقض والإبرام ، وهو في الأخير يؤكد أن الذين يؤمنون بالتاريخ المدون بإيمان العجائز لا يمكن أن ينتفعوا بهذا الكتاب[1].

وفي التمهيد الذي وضعه أشار إلى كتابة المؤرخين عن ابن سبأ منذ ألف سنة ، وما ينسب إليه وإلى أتباعه السبئية من أعمال مدهشة خطيرة ، ثم يتساءل : فمن هو ابن سبأ ؟ ومن هم السبأيون ؟ وما هي دعاواه ؟ وما هي أهم أعماله ؟ ، ويلخص في بقية التمهيد قصة ابن سبأ وأتباعه وآثارهم في الفتن الواقعة بين المسلمين ، وهو ينقل هذا بصيغة التشكيك والتضعيف[2] .

وتحت عنوان : (منشأ القصة) جمع العسكري بعضا من كتابات المحدثين من مسلمين ومستشرقين ، ونقولات المؤرخين ، وانتهى إلى القول : بأن جميع من نقل قصة ابن سبأ إنما أخذ من معين الطبري ، واستقى أخباره من كتابه ، وقد أشار إلى ذلك صراحة بالجزء والصفحة ، أو وجدته واضعا في الأخير من جملة مصادره : الطبري ، أو أسماء الكتب التي أخذت عن الطبري[3] ، وهذه جرأة عجيبة من العسكري على إصدار الأحكام القاطعة دون تمحيص وتثبت .

ومن كل ما سبق أخلص إلى النتيجة الآتية :

أن عبد الله بن سبأ شخصية تاريخية واقعية ، تؤكدها الدراسة الموضوعية ، ولا يعذر بإنكارها ، أو التشكيك فيها الباحثون وأصحاب المناهج العلمية .

ويبقى السؤال : إذن فما هي آثار بن سبأ في أحداث الفتنة ؟ .

وهذا ما سوف تجيب عنه الفصول الآتية .

---

[1] مرتضى العسكري ،عبد الله بن سبأ بحث وتحقيق فيما كتبه المؤرخون والمستشرقون عن ابن سبأ، المطبعة العلمية في النجف ،ج1375،1 هـ - 1956 م،ص(أ،ب)

[2] مرتضى العسكري ، المرجع السابق ،ج1،ص(1- 6)

[3] نفسه،ص(7- 16)

الفصل الثاني :

عبد الله بن سبأ وأحداث الفتنة في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه

المبحث الأول: بوادر الخلاف وسياسة عثمان إزاءه .

المبحث الثاني: عبد الله بن سبأ وأثره في إذكاء الفتنة .

المبحث الثالث: تصاعد الفتنة ومقتل الخليفة .

المبحث الأول: بوادر الخلاف وسياسة عثمان إزاءه

أثيرت أمور عن سياسة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، واعتبرت في عداد المآخذ عليه . ونعرض هنا لأبرز هذه المآخذ وجواب الخليفة عليها وآراء وتوجيهات المتقدمين عنها قبل أن ننتقل إلى أحداث الفتنة ودور عبد الله بن سبأ فيها .

ويمكننا أن نقسم هذه المآخذ إلى الآتي:

أ ـ ما نسب إلى عثمان من ترك القصاص من عبيد الله بن عمر حين قتل الهرمزان .

ب ـ ما نسب إليه من قرارات اتخذها وخالف فيها من سبقه (إتمام الصلاة بمنى ، اتخاذه الحمى ، جمع القرآن في مصحف واحد) .

ج ـ ما نسب إليه من إيثار أقربائه (توليتهم ، الأعطيات ، رد الحكم) .

د ـ ما نسب إليه في معاملة المعترضين عليه (عمار ، أبي ذر ، عطاء بن مسعود رضي الله عنهم) .

هـ ـ ما اعترض عليه في أحواله الشخصية (تغيبه عن بعض الغزوات والمواقع) .

لئن كانت المآخذ التي قدمنها ، لم تكن لتبلغ غايتها في التأثير في طبقة الصحابة ، فقد وجدت آذانا صاغية ، وحركت فئات من الناس اجتمعت لديها مع رغبات النفس ، مؤشرات أثارتها ، وتمخضت عن بوادر خلاف سادات معظم أقاليم الخلافة ، ولم تكن هذه البوادر كلها نتيجة لهذه المآخذ ن بل كان منها ما كانت تدفعه عوامل طبيعية ، ويذكر بجانبه أسباب معروفة ... فماذا كان من ذلك

أولا : من بوادر الخلاف في الكوفة :

وهي أول مصر نزع الشيطان بين أهله ـ في الإسلام ـ كما يقول الشعبي[1]، فمن ذلك ما وقع بين عبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما حينما طلب ابن مسعود من سعد أن يؤدي ما اقترضه من بيت المال ، وحين لم يتيسر لسعد قضاؤه ، فتقاولا ، ووقعت بينهما خصومة

[1] الطبري، المصدر السابق ،ج2،ص251

وصل خبرها إلى عثمان رضي الله عنه ، فعزل سعدا - وكان على الكوفة - وولي مكانه الوليد بن عقبة[1] . وهكذا انتهى الخلاف ، ولم يعد له من أثر ، و رضي المتخاصمون ، ولعل كون الصحابيين طرفا في النزاع ما يفسر ذلك .

وفي سنة 30 هـ . - وأثناء ولاية الوليد على الكوفة - نقب شباب من أهل الكوفة على (ابن الحيسمان) الخزاعي ، وكاثروه ، ثم قتلوه ، وبينما هو يستصرخ إذ سمعه جاره (أبو شريح الخزاعي) فصاح بهم ، لكنهم لم ينتهوا وصاح الناس بهم ، فأخذوهم فإذا فيهم (زهير ابن جندب الأزدى) و (مورع بن أبي مورع الأسدي) و (شبيل بن أبي الأزدى) في عدة ، ورفع الوليد أمرهم إلى عثمان ، فأمره بقتلهم فقتلوا.

ثم ذكر الطبري خبرا آخر مفاده : أن آباء هؤلاء المقتولين تعصبوا ضد الوليد ووضعوا عليه العيون يترصدون زلاته ، حتى ذكر لهم يوما أن الوليد يشرب الخمر ... فطاروا بذلك الخبر إلى الخليفة عثمان ، فاستنطق الشهود فشهدوا ، واستقدم الوليد ، وهو يقول : « نقيم الحدود ، ويبوء شاهد الزور بالنار ، فأصبر يا أخي[2] ولكن هذا الخبر أنكره ابن عبد البر حيث قال عنه : « ... وهذا الخبر من نقل أهل الأخبار لا يصح عند أهل الحديث ، ولا له عند أهل العلم أصل ...» .

كما مر معنا أن الخليفة عثمان عزل الوليد عن الكوفة بعد ذلك ، وبعد الوليد ولى عثمان على الكوفة سعيد بن العاص رضي الله عنه ، فهل فترت حدة الخلاف

جاء سعيد إلى الكوفة ، فعلى منبرها خطيبا في أهلها ، ثم نزل وسأل عن أهل الكوفة ، فأقيم على حال أهلها ، فكتب إلى عثمان يقول : « أن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم ، وغلب أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة والقدمة ، والغالب على تلك البلاد روادف ردفت ، وأعراب لحقت ، حتى ما ينظر إلى ذي شرف ، ولا بلاء من نازلتها ولا نابتتها[3] .

---

[1] خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ،دار القلم/ دمشق، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية 1397 هـ - 1977،ص157

[2] الطبري، المصدر السابق ،ج4،ص276

[3] نفسه ،ص259

فكانت سياسة عثمان إزاءه « إن فضل أهل السابقة و القدمة ممن فتح الله عليه تلك البلاد و ليكن من نزلها بسببهم تبعا لهم ، إلا أن يكونوا تثاقلوا عن الحق و تركوا القيام به ، و قام به هؤلاء ، و أحفظ لكل منزلته و أعطهم جميعا بقسطهم من الحق ، فإن المعرفة بالناس بها يصاب العدل [1] » و صدقت الأحداث ما قاله سعيد في أهل الكوفة ، و قام الخلاف مجددا في مجلس سعيد ـ والي الكوفة ـ و كانت أسبابه بضع كلمات ألقاها غلام ، ما كانت لتصنع الخلاف حادا قويا ، و لكنها النفوس تستعد للفتنة ، فيهيجها ما لا يحرك غيرها .

و ثاروا إليه ، فحاول أبوه منعهم ، فضربوهما حتى غشي عليهما ، و جعل سعيد يناشدهم و يأبون ، و تأثر للحادثة أهل الكوفة عامة ، و بنو أسد خاصة ، و كتب أشرافها إلى عثمان بإخراجهم فكتب إليهم أن إذا أجتمع ملؤكم على ذلك فألحقوهم بمعاوية في الشام ، و كتب إلى معاوية : « أن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفرا خلقوا للفتنة فرعهم و قم عليهم ، فإن انست منهم رشدا فاقبل منهم و أن أعيوك فأرددهم عليهم[2].

و حينما ذهب سعيد إلى المدينة ، و رجع التقى به بعض أهل الكوفة ، في (الجرعة) و منعوه دخول الكوفة واضطروه إلى الرجوع ، و قام الأشتر خطيبا على منبر الكوفة مناديا بتولية أبي موسى الأشعري ، و كان ذلك أول وهن دخل على عثمان حين اجترئ عليه ، كما يقول الذهبي[3] .

ثانيا : بوادر الخلاف في البصرة :

و في البصرة وقع خلاف بين أهلها ، و بين أبي موسى الأشعري ، (واليها) و قد كان أبو موسى واليا على البصرة منذ أن قدم إليها في السنة السابعة عشر للهجرة [4].

و لما قتل عمر رضي اله عنه كان واليا عليها ، ثم أقره عثمان رضي الله عنه عليها حتى السنة الرابعة من خلافة عثمان وقع الخلاف بينه و بين أهلها ، فعزله عثمان عنها[5] .

---

[1] الطبري،ج4،المصدر السابق،ص289

[2] إبن كثير ،المصدر السابق،ج7،ص181

[3] الذهبي:أبو عبد الله محمد بن أحمد ، **تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام**،مكتبة القدس / القاهرة، ج1367،2 هـ، ص122.

[4] خليفة بن خياط ،المصدر السابق ،ص135

[5] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص264

و الروايات التي تذكر أسباب الخلاف بين أبي موسى ، و أهل البصرة تحتاج إلى وقفة متأملة ، فهي تذكر أشياء في صحة نسبتها إلى أبي موسى نظر .

جاء في تاريخ الطبري ، و ابن الأثير ، أن أهل أيذج و الأكراد كفروا فاستصرخ أبو موسى الناس للجهاد ، و رغبهم في الرجلة (و هي مسير المرء راجلا غير راكب) حتى أجمع أناس على الخروج مشاة ، و تريث آخرون ، قالوا : ننظر ما يصنع الأمير فان وافق قوله فعله خرجنا كما خرج أصحابنا ، فلما كان يوم الخروج ، أخرج أبو موسى ثقله من قصره على أربعين بغلا فتعلقوا بعنانه ، و طلبوا منه أن يحملهم على بعضها ، و قالوا له : لما لا ترغب فيما رغبتنا فيه فضرب القوم بسوطه و تركوا دابته ، فمضى ، و أتوا عثمان فاستعفوه منه ... و طلبوا غيره ، فقال لهم عثمان : « ما تحبون قال أحدهم في كل أحد عوض عن هذا العبد الذي قد أكل أرضنا ، و أحيا أمر الجاهلية فينا و لو وليت علينا صغيرا ، أو مهترا لكان فيه عوض منه ، و من بين ذلك من جميع الناس خير منه[1].

و إذا كانت تلك أسباب الخلاف بين أبي موسى ، و أهل البصرة في تلك الرواية ، فإن هناك نصوصا أخرى تعطي لولاية أبي موسى على البصرة وجها آخر ، و من هذه النصوص ما هو أقوى سندا من تلك الرواية .

فقد أخرج البخاري ، من طريق أبي التياح عن الحسن قال : ما أتى البصرة راكب خير لأهلها من أبي موسى [2]و أبو موسى ، مشهود له بأنه هو الذي فقه أهل البصرة و أقرأهم كما قال ابن حجر[3] .

ثم أن القصة وضعت ضمن أحداث سنة (29 هـ .) في الطبري ، و ابن الأثير (كما سبق) ، و في كليهما جاء النص على أن وقوعها كان بعد ثلاث سنوات من خلافة عثمان ، و في ذلك من التناقض ما يظهر لمن تأمله ، إذ أن خلافة عثمان بدأت من سنة (24 هـ .) و عليه كان

---

[1] الطبري ،المصدر السابق، ج4،ص265

[2] ابن حجر:احمد بن علي العسقلاني ،الإصابة في تمييز الصحابة، ط1،ج2، 1328 هـ،ص320

[3] نفسه،ص320

يلزم وضع هذه الحادثة في سنة (27 هـ .) أو يقال أن الحادثة كانت بعد ست سنين من خلافة عثمان (بدل ثلاث) .

وهذا ما تنبه إليه ابن كثير عليه رحمة الله ولكنه لم يذكر سبب العزل[1] والقصة ـ في نظري ـ لا تستقيم للمنطق العقلي ، فضلا عن عدم استقامتها للنقد العلمي إذ كيف يصح من وال صحابي أن يرغب الناس في أمر ، ثم يأتي خلافه بل يضرب بالسوط من أنكر أمره وحتى لو صح ذلك بتوجيه محتمل فأي لون من ألوان الجاهلية يرتضيه أبو موسى حتى نقول : إنه أحياه في الكوفة أما في ولاية عبد الله بن عامر على البصرة فكان الناس لا يزالون يغزون من لم يكن صالحا من أهل خراسان ، حتى كانت الفتنة[2] .

ومن مقدمات هذه الفتنة بوادر الخلاف التي تولى كبرها حكيم بن جبلة العبدي ، فبعد ثلاث سنين من إمارة عبد الله بن عامر على البصرة سنة (33 هـ .) بلغه أن في عبد القيس رجلا نازلا على حكيم ، وحكيم هذا ـ كما تذكر الرواية عنه ـ كان لصا إذا قفلت الجيوش خنس عنهم ، فسعى في أرض فارس ، فيغير على أهل الكوفة ويتنكر لهم ، ويفسد في الأرض ، ويصيب ما شاء ، ثم يرجع ، حتى شكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان ، فكتب عثمان إلى عامله الوليد أن اسجنه ، ومن كان على شاكلته في البصرة ، لا يخرج منها حتى تأنسوا منه رشدا ، فحبس فكان لا يستطيع الخروج منها ، وفي هذه السنة أيضا (33 هـ .) سير عثمان بعضا من أهل البصرة إلى الشام ، وإلى مصر ، كانوا من أهل الخلاف والتأليب ، وممالأة الأعداء[3] .

ثالثا : بوادر الخلاف في الشام :

وفي الشام لم يكن هناك من خلاف يصل إلى مستوى ما وصل إليه الأمر في الكوفة أو في البصرة والذي نذكره هنا من بوادر الخلاف ما كان بين أبي ذر ومعاوية رضي الله عنهما وهو أمر يختلف في طبيعته ، وأسبابه عن غيره كما سيتضح يقول أبو ذر :

---

[1] ابن كثير المصدر السابق ،خ7،ص168
[2] الطبري، المصدر السابق ،ج4، ص316
[3] ابن كثير المصدر السابق ،خ7،ص182

«كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في { والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله }[1] قال معاوية نزلت في أهل الكتاب ، فقلت نزلت فينا وفيهم ، فكان بيني وبينه في ذاك ، وكتب إلى عثمان رضي الله عنه يشكوني ... [2] .

وهكذا يتضح للمتأمل أن أسباب الاختلاف إنما كانت نتيجة اختلاف الفهم حول مدلولات النصوص ، ولم تكن تدفعها الرغبات الشخصية ، أو التهيؤ للفتنة ، ولذا اختلف الناس فحسب الآراء أن تكون مرعية والعلاقات غير متأثرة بأجواء الخصومة ، وهذا اللون من السلوك نجده في الخلاف بين معاوية وأبي ذر يقول ابن حجر متعقبا على هذا الحديث : « وفيه ملاطفة الأئمة للعلماء ، فإن معاوية لم يجسر على الإنكار عليه حتى كاتب من هو أعلى منه في أمره ... [3]« .

وفي رواية الطبري : أن أبا ذر قال لمعاوية : ما يدعوك إلى أن تسمي مال المسلمين مال الله فيجيبه معاوية : يرحمك الله يا أبا ذر ألسنا عباد الله ، والمال ماله ، والخلق خلقه ، والأمر أمره وحينما بعضل به ، لا يؤدبه ، إنما يرفع أمره إلى عثمان : إن أبا ذر قد أعضل بي[4] .

أما موقف عثمان رضي الله عنه وقد آل الأمر إليه ، فهو يكتب إلى أبي ذر بالقدوم عليه ، وحينما قدم لم يحنق عليه مع مخالفته له في تأويله ولم يلزمه بالخروج عنه نفيا إلى الربذة وانما غاية ما قاله له : إن شئت تنحيت فكنت قريبا وهذه التنحية لا تعني تسيير أبي ذر إلى الربذة بقدر ما تعني توخي عثمان صالح الأمة ، وألا يستغل موتور صدق لهجة أبي ذر فيسعى بالفتنة ، ومما يؤكد هذا ـ فوق ما تقدم ـ ما ذكره البلاذري : ان عثمان قال لأبي ذر حين قدم من الشام : قربنا يا أبا ذر خير لك من بعدنا يغدى عليك باللقاح ويراح ، فقال : لا حاجة لي في دنياكم ، ولكن ائتي الربذة فأذن له في ذلك فأتاها ومات بها وقد أنكر سعيد بن المسيب على من قال أن عثمان أخرج أبي ذر إلى الربذة ، وقال : « إنما خرج أبو ذر إليها راغبا في سكناها[5] .

---

[1] سورة التوبة،جزء من آية34

[2] البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، **صحيح البخاري**،المكتبة الاسلامية،محمد أوزدمير،اسطنبول،ج2،ص11

[3] ابن حجر :أحمد بنعلي العسقلاني،**فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ،تحقيق:فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز،رئاسة ادارات البحوث العلميةو الافتاء والدعوة و الرشاد

[4] الطبري ،المصدر الساق ،ج4،ص283

[5] أنساب الأشراف،المصدر السابق ،ج5، ص56

وإذا كنا قد تبينا طرفا من معاملة عثمان ، ومعاوية رضي الله عنهما لأبي ذر رضي الله عنه ، فإن أبا ذر لا يقل عنهما ، ويكفيه أن يسجل له التاريخ امتثاله أمر الخليفة ، وعامله ، وهو يقول : « ولو أمروا علي حبشا لسمعت وأطعت[1] أو وهو يرد على الذين حاولوا إيقاع الفتنة بينه وبين الخليفة حينما قالوا له فعل بك هذا الرجل وفعل ـ يعنون عثمان ـ فهل أنت ناصب لنا راية فتجتمع إليك الرجال فيرد عليهم أبو ذر : « لو أن ابن عفان صلبني على أطول جذع لسمعت وأطعت واحتسبت وصبرت ، فإنه من أذل السلطان فلا توبة له ، فرجعوا[2] « ، ويقول أيضا : « لو أن عثمان سيرني من المشرق إلى المغرب لسمعت وأطعت[3].

رابعا :بوادر الخلاف في مصر :

وهنا يذكر ما حصل من محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة أثناء خروجهما مع عبد الله بن سعد لغزو البحر سنة (31 هـ .) ، فقد جاء في رواية الواقدي : كان أول ما سمع من محمد بن أبي حذيفة ، حين ركب الناس البحر ، رفع صوته بالتكبير حين صلى عبد الله العصر بالناس ، فلما فرغ من صلاته ، سأل عن هذا الصوت ، فقيل هو صوت محمد بن أبي حذيفة فدعاه واستنكر عليه هذه البدعة ، فأجابه : أن ليس في التكبير بدعة ولا حدث فلما كانت صلاة المغرب كبر محمد تكبيرة أرفع من الأولى فلما قضيت الصلاة أتبه عبد الله ، وقال له : لولا أني لا أدري ما يوافق أمير المؤمنين لقاربت بين خطوك ، فرد عليه ابن أبي حذيفة : إنك لا تستطيع ذلك ، فما كان من ابن أبي سرح إلا أن منعه الركوب معهم ، فركب في مركب ليس معه إلا القبط[4]

وعن الزهري ـ من رواية الواقدي أيضا ـ قال : « خرج محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر عام خروج عبد الله بن سعد ، فأظهرا عيب عثمان ، وما غير وما خالف به أبا بكر وعمر ، وأن دم عثمان حلال ، ويقولان : استعمل عبد الله بن سعد رجلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أباح دمه ، ونزل القرآن بكفره وأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما ، وأدخلهم ونزع

---

[1] البخاري ،المصدر السابق ،ج2،ص127
[2] البلاذري، المصدر السابق،ج5،ص56
[3] ابن حجر ،فتح الباري، المصدر السابق،ج3،ص274
[4] الطبري، المصدر السابق،ج4،ص292

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستعمل سعيد بن العاص ، وعبد الله بن عامر ، فبلغ ذلك عبد الله بن سعد فقال : لا تركبا معنا ، فركبا في مركب ما فيه أحد من المسلمين ، ولقوا العدو ، وكانا أكل الناس قتالا ، فقيل لهما في ذلك فقالا : كيف نقاتل مع رجل لا ينبغي لنا أن نحكمه عبد الله بن سعد ، استعمله عثمان وعثمان فعل وفعل ، فأفسدا أهل تلك الغزاة ، وعابا عثمان أشد العيب ، فأرسل عبد الله بن سعد إليهما ينهاهما أشد النهي ، وقال : « والله لولا أني لا أدري ما يوافق أمير المؤمنين لعاقبتكما وحبستكما[1] .

أما عن أسباب هذا الخلاف ، فقد سئل سعيد بن المسيب عن محمد بن أبي حذيفة : ما دعاه إلى الخروج على عثمان .

فقال : كان يتيما في حجر عثمان ، ثم سأله الولاية ـ حين ولى الخلافة ـ فأجابه عثمان : أنا لست هناك فما احتملها ، وطلب منه الإذن بالخروج فأذن له بالذهاب حيث شاء ، وجهزه من عنده ، فلما وقع في مصر كان فيمن تغير عليه أن منعه الولاية [2]، ويقول ابن الأثير : « ثم سار إلى مصر فصار من أشد الناس تأليبا على عثمان[3] « .

أما محمد بن أبي بكر ، فقد سئل سالم بن عبد الله ما دعاه إلى ركوب عثمان فأجاب : الغضب والطمع ، فقيل له : ما الغضب والطمع قال : كان من الإسلام بالمكان الذي هو به ، وغزو أقوام فطمع ، وكانت له داله فلزمه حق ، فأخذه عثمان من ظهره ، ولم يدهن ، فاجتمع هذا إلى هذا فصار مذمما بعد أن كان محمدا[4] .

---

[1] ابن كثير، المصدر السابق،ج7،ص172
[2] الطبري، المصدر السابق،ج4،ص399
[3] ابن الأثير ،المصدر السابق ،ج5،ص87
[4] الطبري ،المرجع السابق،ج4،ص399

المبحث الثاني : عبد الله بن سبأ وأثره في إذكاء الفتنة :

أورد الطبري وغيره روايات عدة تحكي أسباب الفتنة وعواملها ، ولذا كانت رواية ابن عمر التميمي . وهي واحدة من هذه الروايات ـ ترسم بشكل واضح أثر عبد الله بن سبأ في الفتنة ، فسنعرض . بإجمال ، وقبل التصدي لرواية سيف . للروايات الواردة من طرق أخرى .

والذي يقابلنا في أخبار الفتنة نوعان من المصادر :

أولهما : روايات الإخباريين ذات العرض الكامل أو القريبة من التكامل في سرد الحادثة التاريخية أمثال : رواية أبي مخنف (147 هـ .) ، رواية سيف بن عمر (180 هـ .) ، رواية الواقدي (207 هـ .) .

ثانيهما : الأخبار المقطعة ، وهي المروية عن شهود العيان ، أو عمن أدركوا شهود العيان أو كانوا قريبين من زمنهم ، وميزتها أنها أخبار مقطعة لا تكاد تجمع الحادثة كما هو الحال في نسق الرواية التاريخية ، أما توثيقها فيخضع لنقد رجال الإسناد فيها ، وتقدم لنا المصادر التي بين أيدينا سبع روايات منها[1] وهي :

1 ـ رواية الزبير بن العوام رضي الله عنه (وهو من شهود العيان للفتنة) .

2 ـ رواية أبي خنيس (سهم الأزدى) (وهو ممن حضر الحادثة) .

3 ـ رواية أبي سعد مولى أبي أسيد الأنصاري (وقد شهد الفتنة وعرف أحوالها) .

4 ـ رواية الأحنف بن قيس (72 هـ .) وهو ممن عاصر الفتنة وكان قريبا منها .

5 ـ رواية سعيد بن المسيب (13 ـ 94 هـ .) .

6 ـ رواية يزيد بن حبيب (53 ـ 128 هـ .) .

7 ـ رواية محمد بن شهاب الزهري (58 ـ 124 هـ .) .

[1] يوسف العش .الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان، مشورات،جامعة دمشق، 1385 هـ ـ 1965 م.ص30

و نبدأ واضعين هذا السؤال : ما مدى الصحة في هذه المرويات السبع و يجيب الدكتور العش فيقول : « و كم كان يهمنا أن تكون تلك الروايات السبع صحيحة النسبة إلى روايتها ، إذا لكانت كنزا يكشف عن الفتنة ، ـ و للأسف ـ ليست في مستوى واحد من الصحة[1] ... « .

و لو عدنا إلى هذه الروايات ، لوجدنا الرواية المنسوبة إلى سعيد بن المسيب قد جاء فيها : أن عثمان لما استخلف كره ذلك بعض الصحابة ، لمحبة قومه ، و توليته لهم[2] .

و أن طلحة كان من المؤمنين لعثمان حين قدم وفد مصر يشكون إلى الصحابة صنيع ابن أبي سرح بهم بل تظهر الرواية شدة لهجته عليه[3] .

و جاء فيها أن الصحابة ـ بمجملهم ـ نقموا على عثمان ، مع من نقم ، و حنقوا عليه بعد قصة الكتاب[4] و خاصة أعوان أبي ذر ، و ابن مسعود ، و عمار ، و نكتفي بهذا القدر من بيان ما اشتملت عليه هذه الرواية ، و لعل في ذلك ما يكشف عن ضعف داخلي في متن هذه الرواية ، فمن المستبعد أن يكون شيئا من هذا عند الصحابة ، و الأخبار الصحيحة ترده ، على أن الرواية لم تكن سلما في سندها ففيها إسقاط (تدليس) و هو ليس من نوع التدليس الممكن إقراره و التجاوز عنه .

و من هنا يتبين ضعف هذه الرواية ، و استحالة نسبتها إلى سعيد بن المسيب رحمه الله .

أما رواية الزهري ، فتظهر طلحة و الزبير رضي الله عنهما مناوئين لعلي بالخلافة ، و أنهم أحق بها منه « لو نره أولى بها منا[5] « . كما يظهر فيها أن الصحابة ـ و خاصة المهاجرين ـ هم قتله عثمان فهل يمكن بعد هذا قبول هذه الرواية و هل تصح نسبتها إلى الزهري و لعل في ضعف سندها إلى جانب محتواها ، ما يدعو إلى تركها .

---

[1] يوسف العش،المرجع السابق ،ص31

[2] الذهبي ،تاريخ الاسلام ، المصدر السابق ،ج3،ص137

[3] المصدر نفسه،ص137

[4] الكتاب الذي جاء به الوفد الذين توجهوا الى مصر بعد خرجهم من المدينة

[5] الطبري ،المصدر السابق،ج4،ص469

أما رواية يزيد بن أبي حبيب ففي سندها عبد الله بن لهيعة و قد تكلم فيه المحدثون وفيها أخبار غريبة لم ترد في الروايات الأخرى [1].

أما رواية الزبير ، فهي تصور المحاصرين لعثمان أصحاب حق يرضون وينضبون من أجل الله ، وفي الجانب الآخر تصور عثمان رضي الله عنه صاحب ذنب لا بد أن يعلن توبته منه[2] .

بل إنها تصور عثمان ـ وحاشاه عن ذلك ـ غادرا يطلب من علي أن يتوسط بينه وبين القوم ، ليمهلوه حتى يرد إليهم مظالمهم ، ثم هو يتأهب للقتال ويستعد بالسلاح في فترة الإمهال[3] .

وهل نتصور أن تكون تلك رواية الزبير للفتنة ، ورؤيته للخليفة عثمان ، وهو الذي خرج مع أم المؤمنين عائشة وطلحة رضي الله عنهم مدافعا عن عثمان ، ومطالبا بدمه من قتله ، كما سيأتي بيانه عند الحديث عن خروجهم إلى البصرة ، وحدوث وقعة الجمل .

ويبقى معنا الروايات الثلاث :

رواية أبي سعيد (مولى أبي أسيد الأنصاري) ، ورواية سهم الأزدي ورواية الأحنف ابن قيس وكلها مروية بسند جيد لا يدخل عليها منه ، أما ما جاء فيها فنقتبس منها الفقرات الآتية :

1 ـ جاء في رواية أبي سعيد : رجوع وفد مصر راضين ، وبينما هم في الطريق إذا براكب يعترض لهم تارة ويختفي عنهم أخرى ، فقالوا مالك فأخبرهم أنه رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر ، وفتشوه فإذا معه كتاب ، وإذا في الكتاب الأمر بقتل هؤلاء ، فرجعوا إلى المدينة ، وأتوا عليا وأطلعوه على كتاب عثمان ، وأمروه بالقيام معهم إلى عثمان فأبى ، فقالوا : فلم كتبت إلينا (و هو اتهام لعلي بالكتابة إليهم) فقال : و الله ما كتبت إليكم كتابا قط ، و جاؤوا إلى عثمان ، و استنكروا عليه الكتاب ، فأنكره ، و طلب عليهم البينة عليه ، أو يقبلوا يمينه ، فقالوا : هذا خاتمك ، فأشار إلى أن من الممكن أن ينقش على الخاتم ، كما أن الكتاب يكتب على لسان الرجل ثم حصروه[4] .

---

[1] الطبري ،المصدر السابق،ج4،ص394
[2] نفسه،ص369
[3] نفسه،ص337
[4] نفسه،ص(354-356)

و نحن نتبين من طبيعة هذه الأعمال هوية أصحابها ، و أنهم لم يكونوا من الصحابة (كما يبدوا في الروايات السابقة) ، أما من يكونون فهذا ما تقف هذه الرواية دون أن تكشفه .

2 ـ و جاء في رواية الأزدي ما يكشف ـ قليلا ـ بعض ما ورد في الرواية السابقة ... فيقول عن وفد مصر : جاء ركب الشقاً من أهل مصر ، و محمد بن أبي بكر ـ و إن كان مع الوفد القادم ـ يخرج من عند عثمان ، بعد أن ذكره فاستحى ، و لم من قتله عثمان ، ثم دخل عليه رومان بن وردان ، فقتله[1] .

3 ـ و تكشف الرواية الثالثة (رواية الأحنف) أشياء أخرى ، فطلحة و الزبير ، و علي (المتهم بعضهم ـ في بعض الروايات ـ في الشركة في دم عثمان) يؤكدون لعثمان ما وعده به الرسول صلى الله عليه و سلم من الأجر لقاء أعمال قام بها ، بعد أن سألهم و الناس مجتمعون في المسجد حولهم[2] و هذا هو الذي يهمنا ـ الآن ـ من هذه الرواية .

و باستعراضنا للروايات السبع ، يتبين بطلان بعضها ، و حاجة الروايات الصحيحة إلى كشف مكنونها ، و إيضاح الجمل فيها .

و بالجملة فالروايات الصحيحة الإسناد ، تؤكد أن هناك مؤامرة تحاك ، و أن أبطالها غير بارزين ، فإذا ما عدنا إلى روايات الإخباريين الثلاث (أبي مخنف ، سيف ، الواقدي) وجدنا الآتي :

1 ـ يظهر في روايتي : أبي مخنف و الواقدي أن الصحابة هم الذين كانوا يحركون المؤامرة و يثرون الفتنة ...

فأبو مخنف ـ مثلا ـ لا يتورع أن يتهم عثمان بأنه الخليفة الذي كثرت سقطاته فاستحق ما استحقه و يظهر طلحة كواحد من الثائرين على عثمان ، و المؤلبين ضده[3] .

و لا تختلف روايات الواقدي كثيرا عن روايات أبي مخنف فعمرو بن العاص رضي الله عنه ، يقدم المدينة ، و يأخذ في الطعن على عثمان[4] و حينما جاءه الخبر بقتل عثمان قال : « أنا أبو عبد الله

---

[1] ابن حجر ،أحمد بن علي العسقلاني، لسان الميزان، حيدر أباد، الطبعة الأولى 1330 هـ،ج1،ص374
[2] الطبري ،المصدر السابق،ج4،ص497
[3] البلاذري ،أنساب الاشراف،المصدر السابق،ج5،ص59
[4] الطبري ،المصدر السابق،ج4،ص356

، إذا حككت قرحة نكأتها ، إن كنت لأحرض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل ... « أما طلحة ، فالمؤامرة بأمره ، و هو حامل الثوار و مؤلبهم[1] .

كما يظهر في رواية الواقدي (علي) كواحد من الذين أسهموا في نهاية عثمان ، و بنو أمية يذكرون ذلك له و يخرفونه عاقبة إقبال الدنيا عليه : « يا علي أهلكتنا ، و صنعت هذا الصنيع بأمير المؤمنين ، أما و الله لئن بلغت الذي تريد لتمرن عليك الدنيا ... « و هناك اتهامات غير هذه ... بل هناك روايات أخرى للواقدي ، و منها ما أعرض الطبري عنها لبشاعتها و كراهيته لها فلم يذكرها[2] .

و روايتا أبي مخنف ، و الواقدي لا تضيفان جديدا للروايات التي قبلهما ، خاصة و نحن أمام يد خافية تحرك الفتنة ، مازال أمرها غامضا ، و خلافا لروايتي أبي مخنف ، و الواقدي تظهر الروايات الصحيحة أن كبار الصحابة كعلي و طلحة و الزبير ... و غيرهم كانوا من المؤازرين لعثمان و المنافحين عنه ؛ ثم المطالبين بدمه بعد قتله ، على حين يظهرون في هاتين الروايتين من المحرضين على عثمان ، و المسئولين عن قتله ، فأي تعارض بعد هذا .

و هنا نأتي إلى رواية سيف بن عمر المتبقية لنا ، لعلها تشفي الغلة و تقضي الحاجة .

و هذا نص الرواية : عن سيف عن شيوخه قال : « كان عبد الله بن سبا يهوديا من أهل صنعاء ، أمه سوداء ، فأسلم زمن عثمان ، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ، ثم الكوفة ، ثم الشام ، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام ، فأخرجوه حتى أتى مصر ، فأعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول : لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ، و يكذب بأن محمد يرجع ، و قد قال الله عز و جل إن الذين فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد فمحمد أحق بالرجوع من عيسى ، قال : فقبل ذلك عنه و وضع لهم الرجعة فتكلموا فيها ، ثم قال لهم بعد ذلك : أنه كان ألف نبي و لكل نبي وصي ، و كان علي وصي محمد ، ثم قال ، محمد خاتم الأنبياء و علي خاتم الأوصياء ، ثم قال بعد ذلك : من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه و سلم

[1] الطبري ،المصدر السابق،ج4،ص379
[2] نفسه،ص365

و وثب على وصي رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و تناول أمر الأمة ثم قال لهم بعد ذلك : أن عثمان أخذها بغير حق ، و هذا وصي رسول الله صلى الله عليه و سلم فانهضوا في هذا الأمر فحركوه ، ابدأوا بالطعن على أمرائكم و اظهروا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر تستميلوا الناس و ادعوا إلى هذا الأمر ، فبث دعاته ، و كاتب من كان استفد في الأمصار و كاتبوه و دعوا في السر إلى ما عليه رأيهم ، و أظهروا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و جعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم ، حتى تناولوا بذلك المدينة ، وأوسعوا الأرض إذاعة ، وهم يريدون غير ما يظهرون ، ويسرون غير ما يبدون فيقول أهل كل مصر ، أنا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جمع الأمصار ، فقالوا : أنا لفي عافية مما فيه الناس (وجامعه محمد وطلحة من هذا المكان ، قالوا : فأتوا عثمان فقالوا : يا أمير المؤمنين ، أيأتيك عن الناس الذي يأتينا قال : لا والله ، ما جاءني إلا السلامة ، قالوا : فإنا قد أتانا ، وأخبروه بالذي اسقطوا إليهم قال : فأنتم شركائي وشهود المؤمنين فأشيروا علي ، قالوا : نشير عليك أن تبعث رجالا ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة ، وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة ، وأرسل عمار ابن ياسر إلى مصر وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام ، وفرق رجالا سواهم ، فرجعوا جميعا قبل عمار ، فقالوا ، أيها الناس ما أنكرنا شيئا ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم وقالوا جميعا : الأمر أمر المسلمين ، إلا أن أمراءهم يقسطون بينهم ويقومون عليهم ، واستبطأ الناس عمارا حتى ظنوا أنه قد اغتيل ، فلم يفجأهم إلا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم أن عمارا قد استماله قوم مصر ، وقد انقطعوا إليه ، فيهم عبد الله بن السوداء، وخالد ابن ملجم و سودان بن حمران ، وكنانة بن بشر[1] يريدونه على أن يقول بقولهم ، ويزعمون أن محمدا راجع ، ويدعونه إلى خلع عثمان ، ويخبرونه أن رأى أهل المدينة على مثل رأيهم ، فإن رأى أمير

[1] الطبري ،المصدر السابق،ج4،ص340

المؤمنين أن يأذن لي في قتله وقتلهم قبل أن يبايعهم ، فكتب إليه عثمان : لعمري إنك لجريء ، يا ابن أم عبد الله ، لا والله لا أقتله ولا أنكأه ، ولا إياهم حتى يكون الله عز وجل ينتقم منهم ومنه بمن أحب ، فدعهم ما لم يخلعوا يدا من طاعة يخوضوا ويلعبوا.

إذن فالذي يظهر من رواية سيف أن عبد الله بن سبأ وأتباعه من حوله هم الأيدي الخفية المحركة للفتنة والذين جاءت الروايات (الصحيحة) بالإشارة إليهم ، ولم تبن عنهم ، ورسمت هيكلهم ولم توضح شخوصهم على ان هناك أخبارا متناثرة عند المؤرخين اللاحقين تكشف آثار ابن سبأ في الفتنة وتضاف إلى رواية سيف السابقة .

فابن عساكر يؤكد الدور الذي قام به ابن سبأ في الفتنة ويقول : « ... وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ، ويدخل بينهم الشر ، وقد دخل دمشق لذلك في زمن عثمان بن عفان ويشير المقريزي إلى أن ابن سبأ هو الذي أثار الفتنة ضد عثمان حتى قتل[1] .

وفي حديث السيوطي عن مصر - في تلك الفترة - ما يفيد إنكار أهلها على ابن سبأ في البداية ثم افتتن به بشر كثير منهم ، وكان ذلك مبدأ تأليبهم على عثمان[2] .

والذي يبدو أن هذه الآثار في مصر استلزمت جهدا ، وتخطيطا كان المتآمرون يحركون خيوطه فقد ذكر ابن كثير أن من أسباب قتل عثمان عزله عمرو بن العاص عن مصر ، وتوليته ابن أبي سرح مكانه ، وذلك لشدة عمرو وتضييقه على الخوارج المصريين ، ولين ابن سعد وانشغاله بالفتوح[3] إلا أن هذا الإجمال الذي نبه إليه ابن كثير وهو يشير إلى أثر الخوارج المصريين نجد له بيانا وتخصيصا ، وهذا التخصيص لا يتعدى دائرة ابن سبأ وأتباعه .

جاء في رواية لأبي حارثة و أبي عثمان أن ابن السوداء لما قدم لمصر عرض لأهلها بالكفر فأبعدوه ثم عرض لهم بالشقاق فأطعموه ، وبدأ فطعن عمرو بن العاص ، حتى حرك بعضا من أهل مصر ، فسألوا الخليفة ان يعفهم منه ، ويولي قرشيا يسوي بينهم فأجاب عثمان ، وجعل

---

[1] المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي. **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** ، دار الطباعة المصرية، بولاق، وأعد طبعه بالأوفست مكتبة المثنى بغداد، ج1970،2 م .ص357

[2] السيوطي، المصدر السابق، ج2، ص165

[3] ابن كثير **البداية و النهاية**، المصدر السابق ، ج7، ص186

ابن سعد على الخراج ، وأبقى عمرا على الحرب ولم يعزله ، ثم سعوا بين الرجلين ، وكتب كل واحد منهم إلى عثمان بالذي بلغه من صاحبه ، وركبوا هم ليستعفوا من عمرو ويسألوا سعدا ، فأعفاهم ، وكأنه مدرك ان وراء الأكمة ما وراءها.

وذكر الذهبي : أن ابن السوداء لما خرج إلى مصر نزل على كنانة بن بشر مرة وعلى سودان بن حمران مرة وانقطع إلى الغافقي فكلمه و أطاف به خالد بن ملجم وعبد الله ابن رزين وأشباه لهم ، فصرف له القول فلم يجدهم يجيبون إلى الوصية ، فقال : عليكم بباب العرب وحجرهم ولسنا من رجاله ، فأروه أنكم تزرعون ولا تزرعوا العام شيئا ، حتى تتكسر مصر فتشكوه إلى عثمان فيعزله عنكم ، وسأل من هو أضعف منه ، ونخلوا بما نريد ، ننلهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ـ وكان أسرعهم لذلك محمد بن أبي حذيفة ـ وفعلوا ما أمرهم به ، وخرجوا شاكين إلى عثمان عمرا، و مستعفينه منهم ، ومطالبين بابن أبي سرح مكانه ، فأقره على الخراج ، وترك عمرا على الصلاة ، فمشى بينهما سودان، وكنانة ، وخارجه ، و أغروا بينهما ، حتى كتب كل واحد منهما ما بلغه إلى عثمان ، فجمع مصر كلها لابن أبي سرح[1] .

هكذا كان دور ابن سبأ في مصر أما أثره في غير مصر من أقاليم الخلافة ... ففي الشام لم يستطع على شيء مما أراد ، وأخرجه أهلها منه[2] ولذلك لم يكن من بين المحاصرين جماعة تدعى بأهل الشام ـ فيما أعلم ـ .

أما البصرة فقد نزلها ابن سبأ ، وعرض لأهلها ولم يصرح لهم فقبلوا منه ، واستعظموه[3] .

وكاد الأمر يستفحل فيها ، إلا أن واليها ـ الفطن ـ عبد الله بن عامر تنبه له ، فأخرجه بعد أن سأله : ما أنت فأخبره أنه رجل من أهل الكتاب رغب في الإسلام ، وفي جواره ، فرد عليه : ما يبلغني ذلك ، أخرج عني وكذلك الكوفة فقد أخرج منها ، فقصد مصر[4] .

---

[1] الذهبي ،تاريخ الاسلام،المصدر السابق،ج2،ص123

[2] الطبري،المصدر السابق،ج4،ص340

[3] نفسه،ص326

[4] نفسه،ص327

لكن إخراج ابن سبأ من البصرة والكوفة ، لم يكن ليمنع من تأثيره فيهما ، واستدامة العلاقة مع عناصر الفتنة فيهما، ولذلك كانت المكتبات جارية بين ابن سبا ، وبين أهل البصرة والكوفة ، وكانت الرجال تختلف بينهم[1] .

وأدت هذه المكاتبات أدوارها ، فكان من بين الركب المحاصر لعثمان ركبا البصرة والكوفة (كما سيأتي بيانه - إن شاء الله) .

وأخيرا نقف على نقطة نحسب أنها ضرورية فيما نحن بصدده ، بل هي من مكملات الموضوع ولوازمه هذه النقطة هي الكشف الحقيقي عن حجم دور ابن سبأ في الفتنة زمن عثمان ، ويقابلنا في المسألة رأيان :

أولهما يستهجن دور ابن سبأ ، ويشكك فيما نسبه المؤرخون إليه من أخبار ، وانها إلى الخرافة أقرب منها إلى الحقيقة ، ثم كان هذا عاملا من عوامل التشكيك في أصل وجوده أو درجة في سلم الإنكار (وقد سبق البيان) .

أما أصحاب الرأي الآخر ، فيرون أن لو كان ابن سبا وحده لكان كافيا لتهييج الفتنة[2] ، وربما زاد بعضهم فجعل من آثاره تحريك بعض الصحابة وضرب بعضهم ببعض[3].

ولذا كنا نرفض الرأي الأول ، معتمدين على بيان دوره من خلال دراسة الروايات الصحيحة والجمع بينهما ثم بيان دلالتهما ، فنحن أيضا نأخذ على أصحاب الرأي الثاني مغالاتهم في تضخيم دور ابن سبأ ونقف من ذلك موقفا وسطا ،مؤكدين ما لابن سبا من دور في إحداث الفتنة ، ولكن كعامل من عواملها ، - قد يكون أبرزها وأخطرها - ولكن المهم أن هناك أجواء الفتنة مهدت له وعوامل أخرى ساندته ... وتأكيد هذا بالإشارة إلى بعض عوامل الفتنة ، التي نستوحيها من إشارات السلف ، ونضيف إليها بعضا من آراء الخلف .

ومن هذه العوامل :

---

[1] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ، المصدر السابق ،ج3،ص145

[2] سعيد الأفغاني . عائشة والسياسة .دار الفكر، بيروت، ط2، 1391 هـ - 1971 م.ص59

[3] محمود قاسم،المرجع السابق ،ص109

1 ـ مجيء عثمان رضي الله عنه مباشرة بعد عمر رضي الله عنه واختلاف الطبع بينهما ، مما أدى إلى تغير أسلوبهما في معاملة الرعية ، فعلى حين كان عمر رضي الله عنه قوي الشكيمة شديد المحاسبة لنفسه ، ولمن تحت يده ، كان عثمان رضي الله عنه ألين طبعا وأرق في المعاملة ولم يكن يأخذ نفسه أو يأخذ الناس بما أخذهم به عمر ، فعظم صغير عثمان في أعينهم ويقول عثمان نفسه : « إن عمر رضي الله عنه أتعب والله من اتبع أثره [1]« حتى ولن كان الناس رغبوا فيه في الشطر الأول من خلافته لأنه لان معهم ، وكان عمر شديدا عليهم ، فقد أنكروا عليه بعد ذلك[2] وقد قال عثمان لأقوام سجنهم : « أتدرون ما جرأكم علي ما جرأكم علي إلا حلمي[3] « .

2 ـ وإذا كان الشهرستاني يحمل بني أمية مسؤولية ما وقع من أحداث في أواخر عهد عثمان[4] ، فابن تيمية[5] ، وابن حجر[6] يشيرون إلى مروان بن الحكم كعامل من عوامل النقمة على عثمان .

3 ـ ومن عوامل الفتنة سماح عثمان رضي الله عنه لكبار الصحابة بالانتشار في البلاد المفتوحة وكان عمر قد حجر عليهم قبله ، وقد انقطع إلى المسلمين من ليس له طول ولا مزية في الإسلام فكان ذلك أول وهن دخل على الإسلام ، وأول فتنة كانت في العامة ليس إلا ذلك « .

4 ـ ويذهب ابن تيمية إلى أن من عوامل الفتنة اختلاف الناس في أواخر خلافة عثمان ، وخلافة علي عنهم في زمن أبي بكر وعمر ، ولذلك لقرب عهد هؤلاء بالرسالة ، وعظيم إيمانهم وصلاحهم ، وكون أئمتهم أقوم بالواجب ، وأثبت في الطمأنينة[7] .

5 ـ وشكلت طوائف من المرتدين عنصرا ساهم في تهيئة أجواء الفتنة ، والمرتدون كانوا على عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولكن الشيء الجديد هو اختلاف سياسة عثمان رضي الله عنه عن

---

[1] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص401

[2] الهيثمي:أحمد بن حجر المكي ،**الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة** ، مكتبة القاهرة، طبع دار المحمدية ، القاهرة، 1375 هـ،ص113-114

[3] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص251

[4] الشهرستاني : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ،**الملل والنحل** ،دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ،ط2، 1395 هـ ـ 1975 م ،ص24

[5] ابن تيمية: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، **مناهج السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية**، الطبعة الأولى، بالمطبعة الكبرى الأميرية، بولاق،مصر 1321 هـ،ج3،ص190

[6] ابن حجر ،**الإصابة في تمييز الصحابة**، المصدر السابق ج3،ص478

[7] ابن تيمية: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، **الفتاوى**،ط1،ج1383،28 هـ،ص148

الخليفتين قبله ، تجاههم فأبو بكر رضي الله عنه يكتب إلى عمال الردة : « ألا يستعينوا بمرتد في جهاد عدو[1] « .

ويؤكد على خالد بن الوليد ، و عياض بن غنم ألا يغزوا معهم أحد قد ارتد حتى يرى رأيه فيهم ، فلم تشهد أيامه مرتدا[2] .

ويقول الشعبي : « كان أبو بكر لا يستعين في حروبه بأحد من أهل الردة حتى مات[3] « .

ولذلك كان بعض من ارتد ، وحسن إسلامهم بعد ذلك ، يستحيون من مواجهة أبي بكر ، فطليحة بن خويلد ـ مثلا ـ يذهب إلى مكة معتمرا ، وما استطاع مقابلة أبي بكر حتى مات .

ويكتب الصديق رضي الله عنه إلى خالد ـ وطليحة يشهد القتال معه ـ : أن استشره في الحرب ولا تأمره .

وفي خلافة عمر رضي الله عنه تخف هذه السياسة نوعا ، تجاه المرتدين ، فيندب عمر أهل الردة ليرمي بهم الشام والعراق ... .ويكون في الإمداد لجيش اليرموك قيس بن هبيرة وهو فيمن ارتد، بل يكون في ميسرة جيش سعد في القادسية قيس بن مكشوح المرادي وعمرو بن معدي كرب كان يحمس الناس ويحرك مشاعرهم ، وهذا كله إنما كان بعد أن أذن عمر لأهل الردة في الغزو ، ولكن هذا التجاوز عن سياسة أبي بكر ، عند عمر يصحبه نوع من الحذر والحيطة ، ولا ينفك عن الضوابط والشروط المقيدة ...

فأهل الردة لا يولون على مائة ، ولهذا اضطر سعد أن يبعث قيس بن المكشوح في سبعين رجلا فقط ، في أثر الأعاجم الذين ثاروا بهم ليلة الهرير[4] .

ثم إن عمر ما كان يستعمل المرتدين إلا بعد ألا يجد في الصحابة من يجزئه في حربه ، وبعد أن يتعذر عليه سواهم من التابعين لهم بإحسان[5] .

---

[1] الطبري ،المصدر السابق ،ج3،ص341
[2] الطبري ،المصدر السابق ،ج3،ص347
[3] نفسه،ج4،ص25
[4] نفسه،ج3،ص558
[5] نفسه،ج4،ص25

وإذا استعمل هؤلاء المرتدين فلم يكن يطعمهم في الرئاسة ، ولذلك كان رؤساء أهل الردة في تلك الحروب (حشوة) إلى ان ضرب الإسلام بجرانه كما يقول الشعبي[1] .

ويأتي عثمان رضي الله عنه فيتجاوز سياسة التقييد التي فرضها الخليفتان قبله ، تجاه المرتدين ويرتئي أن عامل الزمن ـ الذي مضى على عهد الردة ـ كاف لأن يتخلص من كان قد ارتد من رواسبها ، ويجتهد عثمان فيستعمل أهل الردة استصلاحا لهم ، فلم يصلحهم ذلك.

وكان من نتائج استعمال عثمان لأهل الردة في الكوفة ، أن تبدل أهلها وأصيب قائدهم عبد الرحمن بن ربيعة في غزوه للترك ، وهو الذي كان يقاتلهم في عهد عمر فيفرقون منه ويقولون : ما اجترأ علينا هذا الرجل إلا ومعه الملائكة تمنعه من الموت[2] .

بل تظهر الآثار بشكل واضح في الفتنة التي انتهت بقتل عثمان ، وذلك حينما نجد في أسماء المتهمين في دم عثمان رجالا ينتسبون إلى قبائل كانت في عداد المرتدين أمثال : سودان بن حمران السكوني و قتيرة بن فلان السكوني ، وحكيم بن جبلة العبدي[3] .

6 ـ ووسط هذه الأجواء كانت الخيرات وافرة ، وفي الدنيا متسع على المسلمين ، لاسيما وقد تفرغ الناس ، بعد أن فتحوا الأقاليم ، واطمأنوا ، فأخذوا ينقمون على خليفتهم .

ومن هنا نعلم أثر الرخاء في تحريك الفتنة ، وخاصة حينما تواكبه أجواء معينة .

ومن هنا ـ أيضا ـ نفهم مقالة عثمان رضي الله عنه لعبد الرحمن بن ربيعة وهو على الباب : « إن الرعية قد أبطر كثيرا منهم البطنة ، فقصر بهم ولا تقتحم بالمسلمين ، فإني خاش أن يبتلوا « .

ويقول عباد بن حنيف : « أن أول منكر ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا[4]« .

7 ـ ومن المحدثين من يشير إلى تنوع عوامل الفتنة ، بين قديم يصعد إلى جاهلية الآباء والأجداد وحديث هيأته الدوافع القائمة بين الأقران والأنداد ، وما كان منتزعا من حوافز البيئة ، ومسوقا بسوط العصبية الموروثة زيادة على ما كان مصبوغا بصبغة الدين والحمية .

---

[1] الطبري ،المصدر السابق ،ص25

[2] نفسه ،ج4،ص158

[3] نفسه،ص348

[4] الذهبي:ابو عبد الله محمد بن أحمد ، دول الإسلام ،مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية،حيدر أباد، ط2،ج1، 1364 هـ،ص12

ويجمل أحدهم عوامل الفتنة ، في العصبية القبلية الإقليمية ، والعوامل الاقتصادية الاجتماعية والأمور الدينية الاجتهادية[1] .

المبحث الثالث : تصاعد الفتنة ومقتل الخليفة :

مما سبق يتبين أن بوادر الخلاف التي نجمت ، ومجمل عوامل الفتنة التي نشأت ، كانت بمثابة فتيل ، جاء ابن سبأ ، وأعوانه ليشعلوه ، ودخلت سنة 34 هـ ، وهي السنة التي تكاتب فيها المنحرفون عن عثمان لمناظرته[2].

وتكاثفت الأحداث ، فالكوفة تخلوا من الرؤساء ، إلا منزوعا أو مفتونا ، ويخرج فيها " يزيد ابن قيس " ، فيدخل المسجد مناديا بخلع عثمان ، ويثوب إليه أصحابه ـ ممن كان ابن السوداء يكاتبهم ـ وينكر العارفون من أهل الكوفة عليهم ، ويحدد " القعقاع " تحجيم فتنتهم : هيهات لا والله لا تسكن الغوغاء إلا المشرفيه، وفي مصر ـ وربما غيرها ـ تزور الكتب على ألسنة الصحابة بقتل عثمان[3] .

وسارت الفتن في أقاليم الخلافة سريان النار في الهشيم ، وكتب عثمان (رضي الله عنه) إلى أهل الأمصار ، فهزت كلماته مشاعرهم ، وربما أبكت الكثير منهم ، وأدرك الناس أن الأمة تتمخض بشر[4] واستلزم هذا خطوة أخرى يقوم بها عثمان ، فأرسل إلى عماله أن يوافوه في الموسم فحضر إليه معاوية بن أبي سفيان ، وسعيد بن العاص وعمرو بن العاص وعبد الله ابن عامر وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وأخبرهم بما صنع الناس ، وما شكوا به إليه ، وطلب منهم ـ وهم وزراؤه ونصحاؤه ـ أن يجتهدوا في آرائهم ويشيروا عليه ، فكان رأي ابن عامر : أن يأمر الناس بالجهاد ، ويجمهرهم في المغازي حتى لا يتعدى هم أحدهم قمل فروه ، و دبرة دابته ، و أشار عليه " معاوية " بأن يرد عماله على الكفاية لما قبلهم ، و الرجلان أعلم بناحتيهما ، أما " سعيد بن العاص " فكان رأيه أن يقتل قادة هؤلاء فيتفرق أذنابهم ، فالأمر يصنع بسر ، و لا ذنب للعامة

---

[1] نايف محمود معروف،المرجع السابق،ص41
[2] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص331
[3] ابن كثير ،البداية و النهاية، المصدر السابق ،ج7،ص192
[4] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص342

الذين يتحدثون بما يسر به إليهم ، و أشار عليه " ابن أبي سرج " أن يلجمهم بالمال ليعطف عليهم ، فهل أهل طمع ، و جاء دور " عمرو بن العاص " فقال له : أنك قد ركبت الناس ما يكرهون فاعتزم أن تعتدل و الا فاعتزال ، و ظن عثمان أن هذا هو الجد منه ، حتى إذا تفرق القوم عنه أشار عنه عمرو أن هذا ليس هو رأيه و إنما أراد أن يبلغ القوم قوله فيثقوا به فيقود به خيرا ، أو يصرف عنه شرا ، و ذلك لظنه أن الخبر سيبلغهم[1] .

و أحاط الثوار بالمدينة - للمرة الأولى - مظهرين الأمر بالمعروف ، و هم يريدون أن يذكروا لعثمان أمورا قد زرعوها في قلوب الناس ، حتى يرجعوا إليهم فيقولوا لهم ، أنا قررناه بها فلم يعزل عنها و قد تلطف معهم عثمان فأجاب على تساؤلاتهم ، و قد أدرك المسلمون أنهم أصحاب شر ، فأشاروا على الخليفة بقتلهم ، و أبى عثمان الا تركهم ، فانصرفوا ، و قد توعدوا المجيء ، في شهر شوال من السنة نفسها (35 هـ) حتى يغزوه و كأنهم حجاج[2] فلما كان في الموعد المحدد ، خرج الثوار قاصدين المدينة - و بيان ذلك بما يلي :

جاء في رواية أبي سعيد (مولى أبي أسيد الأنصاري) أن عثمان سمع أن وفد مصر قد أقبلوا فاستقبلهم فقالوا : ادع بالمصحف ، فدعا به ، و قالوا افتح السبعة (يعنون يونس) ، فلما قرأ " قل اله أذن لكم أم على الله تفترون ... " أوقفوه و قالوا : أرأيت مما حمى من الحمى الله أذن لك أم على الله تفتري ثم ذكروا له أشياء أخرى ، و كلما ذكروا له شيا قال : أمضه نزلت في كذا .. فيدفعهم إلى المعنى المقصود منها ، ثم أنهم خرجوا راضين و كتبوا عليه شرطا و أخذ عليهم ميثاقا ألا يشقوا و لا يفارقوا جماعة ما أقام لهم شرطهم ، و رجعوا راضين فبينما هم في الطريق إذا براكب يتعرض لهم و يفارقاهم ، ثم يرجع إليهم ثم يفارقهم ، قالوا مالك قال : أنا رسول أمير المؤمنين إلى عاملة بمصر ، ففتشوه فإذا هم بكتاب من عثمان و عليه خاتمه ، و فيه الأمر بصلبهم أو قتلهم ، أو قطع أيديهم و أرجلهم ، و أقبلوا نحو المدينة ، فأتوا " عليا " فقالوا : ألم تر إلى عدو الله كتب فينا بكذا و كذا و أن الله قد أحل دمه ، فقم معنا إليه ، قال : و الله لا أقوم معكم قالوا : فلم

---

[1] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص333

[2] نفسه،346

كتبت إلينا قال : و الله ما كتبت إليكم كتابا ، فنظر بعضهم إلى بعض و خرج علي من المدينة فانطلقوا إلى عثمان فقالوا : كتبت فينا بكذا و كذا ، فقال : إنهما اثنان أن تقبلوا رجلين من المسلمين أو يميني بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت و لا أمليت و لا علمت ، و قد يكتب الكتاب على لسان الرجل و ينقش الخاتم على الخاتم ، قالوا : قد أحل الله دمك ، و نقضت العهد و الميثاق ، و حصروه في القصر رضي الله عنه[1] .

هذه الرواية من أصح الروايات في حصار عثمان ، فهي ذات سند قوي (كما تقدم) و روايها (أبو سعيد) شاهد عيان للحادثة ، و الذي نقلها عنه (أبو نضره) و كان يعرف من حضر الحادثة ، و اجتمع بهم ،مثال علي و طلحة[2] و سنضيف إلى هذه الرواية أخبار تكملها ، من روايات لا تصطدم معها بشيء بل تسير معها في اتجاه واحد حتى تنتهي إلى قتل عثمان ، و من أبرز هذه الروايات رواية سيف بن عمر التميمي و مما جاء فيها .. : أنه في شوال سنة 34 هـ خرج أهل مصر في أربع فرق ، على أربعة أمراء ، المقلقل يقول ستمائة ، و المكثر يقول ألف و من زعمائهم : ابن عديس البلوي ، و كنانة بن بشير التجيبي ، و عروة ابن شيم الليثي ، و أبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي و سودان بن رومان الأصبحي ، و زرع ابن يشكر البافعي و سودان بن حمران ، و قتيرة بن فلان السكسونيين ، و على الجميع الغافقي بن حرب العكي و معهم عبد الله بن سبا ، و خرجوا للحرب ، متظاهرين أمام الناس أنهم خرجوا للحج ، و هواهم في علي، و خرج أهل الكوفة في أربع وفاق ، و عليهم زيد بن صوحان العبدي ، و الأشتر النخعي ، و زياد بن النضر الحارثي، و عبد الله بن الأصم ، و عددهم كعدد أهل مصر ، و عليهم جميعا عمرو بن الأصم ، و نزل ناس منهم " الأعوص " و كان هواهم مع الزبير[3] .

أما أهل البصرة فقد خرجوا في أربع وفاق - أيضا - و عليهم حكيم بن جبلة ، و ذريح ابن عباد العبدي ، و بشر بن شريح الحطم بن ضبيعة القيسي ، وابن المحرش ابن عبد بن عمرو الحنفي في عدد كأهل مصر و أميرهم جميعا " حرقوص بن زهير السعدي " ، فنزل ناس منهم " إذا

[1] خليفة بن خياط ،المصدر السابق ،ص168
[2] الذهبي ،تاريخ الاسلام،المصدر السابق،ج4،ص225
[3] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص349

خشب " و كان هو البصريين مع طلحة[1] ، و اتفق أمرهم على أن يبعثوا اثنين منهم ليطلعوا على أخبار المدينة و يعرفوا أحوال أهلها ، خاصة و قد نمي خبر بأن أهل المدينة استباحوا دماءهم و عسكروا للقائهم و ذهب الرجلان فدخلا المدينة ، و لقيا أزواج النبي صلى الله عليه و سلم و عليا ، و طلحة ن و الزبير ، و أظهروا لهم أنهم يستعفون من عثمان بعض عماله ، و يطلبون منهم السماح للناس بالدخول ، فكلهم أبى عليهم ذلك و قالوا : بيض ما يفرخن .

و نتيجة هذا الفشل احتاج الأمر إلى أسلوب آخر فكان إن اتفق نفر من أهل مصر فأتوا 'عليا " و من أهل البصرة فأتوا ' طلحة " ، و من أهل الكوفة نفر و أتوا " الزبير " فكلموهم و عرضوا عليهم ، لكنهم ردوهم على أعقابهم و هم يقولون : " لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة ، و ذي خشب ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه و سلم ، فارجعوا لا صحبكم الله [2]" .

بعد هذا تظاهر القوم بالرجوع ، و هم يبطنون أمر لا يعلمه الناس و كان أمر الكتاب و لنتوقف عند قضية الكتاب ، من كتبه و تحت أي ظروف كتب .

و أول ما يستوقفنا من أمر الكتاب حامله ، و هو يتعرض لهم و يفارقهم ، ثم يرجع إليهم ، ثم يفارقهم ، بل جاء أنه كان يتبينهم[3] .

و يستوقفنا - ثانيا - إجابته لهم بأنه رسول أمير المؤمنين إلى عاملة مصر و الوفد لا يزال لتوه خرج من عند عثمان ، فماذا يريد من عاملة مصر .

و يستوقفنا أيضا - سؤال علي رضي الله عنه لوفد الكوفة و البصرة - و قد كانوا يقولون إنما جئنا لننصر إخواننا و نمنعهم - فقال لهم علي : و كيف علمتهم يا أهل الكوفة ، و يا أهل البصرة بما لقي أهل مصر ، و قد سرتم مراحل ، ثم طويتم نحونا [4] .

---

[1] الطبري ،المصدر السابق ،ج 4، ص349

[2] نفسه ،ص350

[3] نفسه،355

[4] نفسه،ص351

و لعلنا من خلال هذه الملاحظات الداخلية في النص نتعرف على من كتب الكتاب و لعله أدرك عين الصواب من قال : أن الكتاب لا يعدوا أن يكون مسرحية مثلت في الطريق الغربي الذي كان المصريون فيه وجدهم [1].

هذا فوق أن هناك ما يؤكد شبهة تزوير هذا الكتاب ، إذ ليس هو الكتاب الوحيد الذي يزور على الصحابة ، فعائشة (رضي الله عنها) تتهم بأنها كتبت إلى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان ، ثم تنفي و تقول : " لا و الذي أمن به المؤمنون و كفر به الكافرون ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا [2]" .

و علي (رضي الله عنه) يتهمه الثوار بأنه كتب إليهم أن يقدموا عليه المدينة فينكر ذلك عليهم و يقسم " و الله ما كتبت إليكم كتابا[3] " .

و يتهم الصحابة بالكتابة الكتب إلى أهل الأمصار ، يأمرونهم بالقدوم إليهم ، فدين محمد قد فسد و ترك ، و الجهاد في المدينة خير من الرباط في الثغور البعيدة[4] و لعله ، مما يندرج تحت هذه الكتب المزورة ، ما أشار إليه " ابن قتيبة " في غريبة و فوق هذا أن عليا يقول : " هذا - و الله - أمر أبرم في المدينة وعثمان يشير إلى أن الكتاب ، مكتوب على لسانه ، والخاتم قد ينقش على خاتمه ، فيصدقه الصادقون ، ويكذبه الكاذبون وفوق الأمر كله ، فالأمر ماض ، والثوار يفصحون عن هدفهم ويقولون : ضعوه على ما شئتم ، لا حاجة لنا في هذا الرجل ، ليعتزلنا ، ونحن نعتزله .

ويحيط الثوار بالمدينة ، وعثمان (رضي الله عنه) غير مكترث بهم ، بل كانوا في عينه أدق من التراب ويمضي أسبوع على نزولهم بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويزداد تصاعد الأحداث ،ويبدأ اللغط يرتفع في جوانب المسجد ، ويتطور إلى مناوشات ، ثم إلى حصب الخليفة (عثمان وهو على المنبر ، فيصرع ، ويحمل ثم يعود، ويصلي بهم عشرين يوما)[5] .

---

[1] محب الدين الخطيب ،ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه ،المطبعة السلفية ومكتبتها، ط1، 1394 هـ،ص31

[2] ابن كثير ،البداية و النهاية،ج7،ص214

[3] خليفة بن خياط ،المصدر السابق ،ص146

[4] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص367

[5] نفسه،351

ويحكم الثوار الحصار ، وتعيش مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم أياما عصيبة ، ويبقى الصحابة (رضي الله عنهم) في حيرة من أمر هؤلاء ، والناس بمجملهم لا يدرون ما القوم صانعون ، وعلى ما هم عازمون[1] .

ويحاولون عثمان على أن يعزل نفسه ، فيمتنع مشيرا إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصاه بعدم طاعة المنافقين[2] .

ثم يبعث عثمان إلى أهل الأمصار - يستنجدهم ، ويعرفهم ما الناس فيه - فيتجهزون ، ويخرجون على الصعب والذلول ، من مصر ، والشام ، والكوفة والبصرة

وينتاهى الخبر إلى المحاصرين فيخشون فوات الفرصة ، ويحكمون حصارهم على المدينة ، فتضيق بهم طرقاتها ويبلغ الزحام شدته في موضع الحصار ، حتى لو ألقي حجر لم يقع إلا على رأس رجل ، كما يقول ذلك من حضر الدار[3] .

ويتسابق الصحابة - بعد أن أحاط الثوار بداره ، وحاولوا عزله ، بل منعه مما به إليه حاجة - في الدفاع عنه ، ويستعينون بأبنائهم في الوقوف معه ، فإذا هو يستقبلهم ويقسم عليهم ، أن يكفوا أيديهم ، فيسكنوا حتى أن بعضهم لبس الدرع مرتين ، وحتى أن الأنصار ليسألونه أن يكونوا أنصار الله مرتين ، فيأمرهم بالكف ويقول : لا حاجة لي في ذلك[4] .

ويستمر الحصار (من أواخر القعدة - إلى الثامن عشر من ذي الحجة) ، وقبل ذلك بيوم يرى عثمان في المنام اقتراب أجله ، فيستسلم لأمر الله ويأمر من كان عنده في الدار - وكانوا قرابة سبعمائة - من المهاجرين والأنصار أن يكفوا أيديهم ، ويذهبوا إلى منازلهم ، كما قال لرقيقه : من أغمد سيفه فهو حر ، ويتسور الثوار عليه داره ، وتتوزع رماحهم دماءه الطاهرة ، وهو الشيخ المعلق قلبه بالله ، والمحتضر وبين يديه كتاب الله .

---

[1] ابن كثير ،البداية و النهاية، المصدر السابق ج7،ص191
[2] ابن سعد،الطبقات، المصدر السابق ج3،ص66
[3] ابن كثير ، المصدر نفسه ،ج7،ص195
[4] نفسه،173

وهنا تختلف الروايات في تعيين قاتله ، هل كان " رومان اليماني " أو " سودان ابن رومان المرادي " ، أو " كنانة بن بشر التجيبي " ، أو رجل من بني سدوس يقال له " الموت الأسود " ، أو أنه لم يتعين قاتله على الصحيح .

والذي يهمنا أن نتعرف على هوية قاتليه ، فهم " رؤوس شر وأهل جفاء " كما يقول الذهبي[1] .

وأراذل من أوباش القبائل ، كما يقول ابن العماد الحنبلي وهمج ورعاع من غوغاء القبائل وسفلة الأطراف والأرذل كما يصفهم النووي . أو حثالة الناس ، ومتفقون على الشر كما يصفهم ابن سعد[2] وهم خليط بين غوغاء الأمصار ، وأهل المياه ، وعبيد أهل المدينة ، كما تقول عائشة رضي الله عنها ويقول الزبير (رضي الله عنه) : قتله الغوغاء من الأمصار ، ونزاع القبائل ، وظاهرهم الأعراب والعبيد[3] .

ولعله بعد هذا لا يبقى مكان للروايات التي تشرك الصحابة في دم عثمان ـ وقد سبق طرف منها ـ ، ولا لبعض الأخبار التي تقول أنه جد في أمر عثمان طلحة والزبير كيف وقد سئل الحسن ، أنان في من قتل عثمان أحد من المهاجرين والأنصار قال : لا ، كانوا أعلاجا من أهل مصر .

واذا كان لقائل أن يقول : وكيف قتل عثمان ، وفي المدينة جمع من كبار الصحابة

وهو سؤال وضعه ابن كثير (وقيما أمضينا بعض الإجابة عليه) ثم أجاب عليه بعدة أمور نقتطف منها الآتي :

1 ـ أن كثيرا منهم ، بل أكثرهم ، أو كلهم لم يعلموا ان الأمر سيبلغ قتله .

2 ـ أن الصحابة مانعوا عنه أشد الممانعة ، فلما كان التضييق عزم عليهم بوضع أسلحتهم ، والخروج إلى منازلهم .

3 ـ أن الثوار اغتنموا فرصة غياب كثير من أهل المدينة في الحج ، وعجلوا عثمان قبل قدوم أهل الأمصار عليه .

---

[1] الذهبي ،دول الاسلام،المصدر السابق،ج1،ص12

[2] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص461

[3] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص461

4 ـ وكان المحاصرون قريبا من ألفي مقاتل من الشجعان ، وأهل المدينة كلهم ربما لا يبلغون هذا الرقم لتوزعهم في الثغور والأقاليم[1] .

وبالجملة فهي فتنة قدرها الله ، وبوحي منه أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يبشر عثمان بالجنة مع بلوى نصيبه[2] .

ولقد كان عمر رضي الله عنه ، سبب انتشارها عنهم ، كما يقول ابن كثير[3]: أما وقد كسر الباب واستشهد عمر ، فما بقي إلا أن يصدق خبر المصطفى صلى الله عليه وسلم ، في الفتنة التي تموج كموج البحر[4] ويبتلي بالفتنة عثمان فيصبر لها و يحتسب أجرها منذ علم خبرها و هو يقول : اللهم صبرا ، أو الله المستعان ، ثم يصبر عليها وقت هيجانها و يقول : و الله أن رحى الفتنة لدائرة ، فطوبي لعثمان ـ إن مات و لم يحركها[5].

رضي الله عن عثمان الشهيد المبتلى ، و رضي الله عن بقية الصحابة أولي الأحلام و النهى بعد هذا كله ، علينا أن نكون قد عرفنا ملابسات الفتنة التي انتهت بمقتل عثمان ، فقد ابتدأت بمآخذ كانت تكمن خلفها بواعث الفتنة ، ثم تبلورت على شكل بوادر خلاف شملت معظم أقطار الخلافة ، ثم كان لابن سبا دور في استغلال أجواء الفتنة ، و أخيرا تصاعدت الأحداث ، و أقبل الثوار ـ و فيهم ابن سبأ و من كان يكاتبه ـ ، و انتهى الأمر باستشهاد الخليفة

---

[1] ابن كثير ،البداية و النهاية، المصدر السابق ج7،ص216

[2] البخاري ، صحيح البخاري،المصدر السابق،ج8،ص97

[3] ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر النهاية أو الفتن والملاحم ،دار الكتب الحديثة، القاهرة ،ج1،ط1،ص50

[4] البخاري ، ،المصدر نفسه،ج7،96

[5] الطبري ،المصدر السبق ،ج4،ص343

الفصل الثالث :

عبد الله بن سبا و أثره في إحداث الفتنة في عهد علي رضي الله عنه

المبحث الأول : الظروف التي تولى فيها علي رضي الله عنه الخلافة

المبحث الثاني : اشتغال الخلاف ، وتوجه الأنظار إلى البصرة

المبحث الثالث : أثر ابن سبا و أعوانه في معركة الجمل

المبحث الأول : الظروف التي تولى فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة :

لم تكن ظروف تولي علي للخلافة ملائمة ، فالخليفة عثمان رضي الله عنه يستشهد في أجواء الفتنة و قد اقتحم الثوار عليه داره ، و الأمة كلها تحتلب دما ـ بقتل الخليفة ـ بدل أن تحتلب لبنا ، كما يقول الخليفة بن اليمان رضي الله عنه[1] فالثوار يمسكون بزمام المدينة و يتولون الصلاة فيها[2] ، و المسلمون تفجعهم الحادثة ، حتى أن عليا و طلحة و الزبير (رضي الله عنه) خرجوا ـ بعد بلوغهم الخبر ـ و قد ذهبت عقولهم ، كما يقول الذهبي[3] .

و تطالعنا الروايات التاريخية ، و الأخبار المتفرقة و هي تجسد هذه الظروف ، و تعكس حرص المسلمين على الوحدة، و جمع الكلمة ، بداء باختيار الخليفة ، فكيف تم اختيار علي للخلافة .

نقل " ابن سعد " البيعة لعلي في اليوم الثاني من قتل عثمان ، و قد بيعه طلحة و الزبير و سعد بن أبي وقاص .. و جميع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم و غيرهم[4] .

و لم يستثن اليعقوبي[5] من البيعة لعلي سوى ثلاثة نفر من قريش : مروان بن الحكم و سعيد بن العاص ، و الوليد بن عقبة[6] .

و في تاريخ الطبري : أن المدينة بقيت بعد قتل الخليفة (عثمان) رضي الله عنه خمسة أيام بأيدي الثوار ، الذين كانوا يلتمسون إجابة علي أو طلحة أو الزبير للقيام بأمر الخلافة فيتبرأ هؤلاء منهم و من صنيعهم ، ثم يقصدون سعد بن أبي وقاص فيردهم ، و كذلك يفعل عبد الله ابن عمر ، ثم يأتي الناس " عليا " و هو في سوق المدينة ليبايعوه ، فيطلب منهم المهلة حتى يجتمع الناس و يتشاوروا ، فيشتدون عليه فتبايعه العامة[7] .

---

[1] ابن كثير ،البداية و النهاية، المصدر السابق ،6،ص237

[2] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص442

[3] الذهبي ،تاريخ الاسلام،المصدر السابق،ج2،ص139

[4] ابن سعد، الطبقات، المصدر السابق ،ج3،ص31

[5] أحمد بن اسحاق بن جعفر ،مؤرخ،جغرافي،من أهل بغداد،شيعي المذهب،كان جده من موالي المنصور العباسي،من مصنفاته:البلدان،أخبار الامم السالفة للاستزادة انظر : خير الدين الزركلي . الأعلام، ط3، بيروت1389 هـ ـ 1969 م.

[6] اليعقوبي:احمد بن أبي يعقوب بن جعفر . تاريخ اليعقوبي دار صار ، بيروت،ج2، 1379 هـ ـ 1960 م. ص178

[7] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص433

و الذي يتضح أن عليا لم يطلب من الناس البيعة ، و لم يكن حريصا على الخلافة - مع أحقيته لها - و ذلك أنه كان يدرك ظروف الأمة إذ يقول : " دعوني و التمسوا غيري ، فإنا مستقبلون أمر له وجوه ، و له ألوان لا تقوم له القلوب ، و لا تثبت عليه العقول[1] " .

و يروى أنه كان يقول: وليت و أنا كاره ، و لو لا خشية على الدين لم أجبهم . ولكن المسلمين كانوا يدركون خطورة الوضع ، و الحاجة إلى تعيين خليفة يتولى أمر المسلمين فيجتمع إليه وجوه المهاجرين و الأنصار ، و يقسمون عليه ، و يناشدونه في حفظ بقية الأمة و صيانة دار الهجرة ، فيدخل في ذلك بعد شدة مغلبا المصلحة[2] .

و يقدر ما كان علي رضي الله عنه يتوخى بيعه الناس له في تلك الظروف فقد رغب بعد ذلك - و بعد أن أحس بالحاجة - إلى أن تكون بيعته عن رضا و إجماع من المسلمين و لا سيما أهل السابقة فيهم و أصحاب الحل و العقد ، فقد ذكر ابن حبان أن الناس هرعوا إلى علي بعد مقتل عثمان لمبايعته ، فقال ليس ذلك إليكم ، و إنما هو لأهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو الخليفة ، فلم يبقى أحد من أولئك إلا أتى إليه ، فطاب أن تكون على ملأ من الناس فخرج إلى المسجد فبايعوه ويروى عن ابن عباس رضي الله عنه قوله : إني لمتخوف أن يتكلم بعض السفهاء ، أو بعض من قتل أباه أو أخاه في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : لا حاجة لنا في علي فيمتنع عن البيعة ، قال : فلم يتكلم أحد إلا بالتسليم والرضا .

وهكذا تتضح رغبة الناس في البيعة لعلي ، و إجماع الغالبية منهم على ذلك ، ولا سيما أصحاب الشأن منهم ، حتى نقل ابن كثير مبايعة الأنصار كلهم ، وعدم تخلف أحد منهم عن البيعة[3] .

أما ابن خلدون فيقول : أن الناس كانوا عند مقتل عثمان مفترقين في الأمصار ، فلم يشهدوا بيعة علي، والذين شهدوا فمنهم من بايع ومنهم من توقف حتى يجتمع الناس ويتفقوا على إمام كسعد وسعيد وابن عمر .. إلخ ما ذكر[4] .

---

[1] الطبري ، المصدر السابق ،ج4،ص434

[2] الباقلاني : ابو بكر محمد بن الطيب ،التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والراقضة والخوارج والمعتزلة،دار الفكر العربي، طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر1366 هـ – 1947 م،ص230

[3] ابن كثير ،البداية و النهاية، المصدر السابق ، ج7،ص24

[4] ابن خلدون ،المقدمة،المصدر السابق،ص214

أما سعد (ابن أبي وقاص) فقد نقل بيعته ابن سعد ، وابن حبان ، والذهبي وغيرهم ..[1]

والذي يبدو أن في ذلك مبالغة من ابن خلدون ـ عليه رحمة الله ـ حيث جعل الذين لم يبايعوا قريبا من الذين دخلوا في البيعة لعلي ، وهو أمر نطقت بخلافه النصوص التي أوردناها من قبل ذلك . هذا فوق ما هو معلوم أن الإمامة تنعقد بأحد الأمرين ، أحدهما اختيار أهل الحل والعقد[2].

وإذا كان العلماء قد اختلفوا في العدد الذي تنعقد به الإمامة من أهل الحل والعقد ، فإن الماوردي يقول أن أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة قالوا إن أقل عدد تنعقد بهم الإمامة خمسة يجتمعون على عقدها أو يعقدها أحدهم برضا الأربعة ، مستدلين على ذلك ببيعة أبي بكر واختيار عمر ستة ليعقد لأحدهم برضا الخمسة ، أما إذا أجاب من اختير للخلافة ، وانعقدت البيعة ، فإنه يلزم كافة الأمة الدخول في بيعة الإمام و الانقياد لطاعته[3] .

على أن ابن خلدون ـ نفسه ـ نقل اتفاق أهل العصر الثاني من بعد الصحابة على انعقاد بيعة علي ولزومها للمسلمين أجمعين[4] .

ويبقى بعد ذلك القول ببيعة طلحة والزبير ، وقد قدمنا القول ببيعتهما ، بل رغبتهما في ذلك ، حتى قيل أن أول من بايع طلحة ، ثم بايعه الزبير ..، بل نقل أن عليا قال لطلحة والزبير إن شئتما بايعا ، وإلا بايعتكما ، قال : بل نبايعك ، إلى غير ذلك من المنقولات، ولكن مع ذلك فهناك رأي بأن طلحة والزبير بايعا كارهين نقل ذلك ابن سعد ، وجاء في إحدى روايات الطبري ، وقد دفع ذلك أبو بكر بن العربي في العواصم ، وقال صاحب التمهيد : إن القول بأنهما بايعا مكرهين قد عورض من النقل بما يدفعه[5] .

ونشير هنا ـ فوق ما قدمناه ـ بعض ما نقل مما يدفع كون طلحة والزبير بايعا مكرهين ، فعن محمد بن سيرين أنه كان يقول : أن عليا جاء فقال لطلحة : أبسط يدك يا طلحة لأبايعك ، فقال طلحة : أنت أحق وأنت أمير المؤمنين فابسط يدك ، قال : فبسط يده فبايعه [6] .

---

[1] ابن سعد، الطبقات، المصدر السابق ،ج3،ص31

[2] الماوردي ،أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الأحكام السلطانية والولايات الدينية،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،مصر، ط2 ،1386 هـ ـ 1966 م ،ص6

[3] الماوردي المصدر نفسه،ص7

[4] ابن خلدون ،المقدمة،المصدر السابق،ص214

[5] الباقلاني، المصدر السابق،ص231

[6] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص434

وفي رواية أخرى ـ عند الطبري ـ أن عليا بعد مقتل عثمان ، دخل حائطا وأمر بإغلاق الباب عليه فجاء الناس فقرعوا الباب فدخلوا ـ وفيهم طلحة والزبير ، فقالا يا علي : أبسط يدك فبايعه طلحة والزبير .

ويدفع " ابن العربي " أيضا أن يكون طلحة والزبير قد اشترطا على علي أن يقتل قتلة عثمان بأن ذلك لا يصح في شرط البيعة[1] .

وهكذا يتضح للمتأمل صعوبة الظروف التي تولى فيها علي أمر المسلمين إذ كان الموقف في حس علي يتنازعه أمران : كراهيته لهذا الأمر مخافة ما بعده حتى قال لهم : أكون وزيرا خير من أكون أميرا[2] .

وفي الجانب الآخر كان يراعي مصلحة الأمة ، ويخشى أن يضيع أمرها وهذا ما يجسده الحوار الذي دار بين علي وابنه الحسن ، حينما قال الحسن : إني نهيتك عن أشياء فعصيتني فذكر منها : إني نهيتك عن مبايعة الناس ـ بعد قتل عثمان ـ حتى يبعث إليك كل أهل مصر بيعتهم ، فيجيء رد علي على ابنه (رضي الله عنهما) إني كرهت أن يضيع هذا الأمر[3].

المبحث الثاني : اشتغال الخلاف ، وتوجه الأنظار إلى البصرة

أولا: اشتغال الخلاف.

على الرغم من تشابك الظروف التي تولى فيها علي الخلافة ـ وقد سبق البيان ـ فقد مرت المدينة بعد هذا بظروف هادئة ، صار الأمر فيها أمر أهل المدينة ، وكانوا فيها كما كانوا من قبل ، وتفرقوا إلى منازلهم ، كما حكى ذلك أبو جعفر الطبري[4] إلا أن هذا الهدوء لم يكن ليستقر أو لتطول فترته على الأقل ، والطبري يشير إلى أن ذلك يرجع إلى مكان النزاع والغوغاء فيهم .

فبعد أن استتب الأمر لعلي في البيعة ، وذلك في يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة خطب في الناس ، وكان من بين الأشياء التي أبان عنها : حرمات الله التي حرمها ، ولا سيما حرمة المسلم ، وأن المسلم من سلم الناس من لسانه ويده إلا بالحق ، وأن أذى المسلم لا يحل إلا بما يجب[5] ... وكأنه رضي الله عنه يشير ـ من بعيد ـ إلى قتل عثمان ، وأن قتلته استحلوا

---

[1] ابن العربي،المصدر السابق،ص145

[2] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص427

[3] ابن كثير ،البداية و النهاية، المصدر السابق ،ج7،ص255

[4] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص435

[5] نفسه،ص436

دمه وآذوه بما لا يجب ومن المعلوم أن بالمدينة من قتلة عثمان ، بل فيهم من حضر خطبة علي وكأنهم استشكلوا بعض ما ورد فيها ، أو فهموا بعضا من سياسة علي من خلالها ، فأرادوا أن ينبهوا عليا إلى شوكتهم فيحتاط في أمرهم.

وإذا كان هذا شأن السبئية مع علي ، فالأمر لم يكن أمرهم وحدهم " فبنو أمية " هربوا من المدينة ولم يبق إلا من لم يطق الهرب ، وقريش هي الأخرى تشكل من مخاوف علي ، فيشتد على رجالها ، ويحول بينهم وبين الخروج على حال ، ويزيد من شدة الأمر امتناع الأعراب عن اللحوق بمياههم والخروج عن المدينة ، وقد طلب علي منهم ذلك وقال : يا معشر الأعراب الحقوا بمياهكم فأبت " السبئية " وأطاعهم الأعراب[1] .

أما " معاوية " ، رضي الله عنه ، ومن كان حوله من أهل الشام فلم يكونوا - منذ البداية - مؤيدين لعلي في الخلافة ، وكان رأيهم أن يقتص من قتلة عثمان أولا ، ثم يكون اختيار الخليفة بعد ذلك[2] .

وتبدأ قصتهم منذ اللحظة التي حمل فيها النعمان بن بشير رضي الله عنه ، قميص عثمان . وهو ملطخ بدمائه ، ومعه أصابع نائله (زوج عثمان) التي قطعت وهي تدافع عن عثمان ووضع القميص على منبر في الشام ، ليراه الناس والأصابع معلقة في كم القميص وندب معاوية الناس للأخذ بالثأر والقصاص من قتلة عثمان ، وقام مع معاوية جماعة من الصحابة في هذا الشأن ، وحينما جاء رسول معاوية إلى علي ، وأبلغه حال أهل الشام قاطبة وتأكيدهم على الانتقام من قتلة عثمان صاحت السبئية : " هذا الكلب رسول الكلاب أقتلوه [3] " .

على أن الأمر لم يكن أمر " السبئية " وحدهم ، ولم يكن الخلاف مع بني أمية (سواء من كان بالمدينة ، أو في الشام) وإنما الذي أشعل الخلاف ما كان من طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما ، ومن لحق بهما وكان يرى رأيهما .. ويروي لنا الطبري أسباب الخلاف ونتائجه - ونظرا لأهمية الرواية الواردة في ذلك ودقة تصويرها فسننقلها كاملة - فيقول :

" اجتمع إلى علي بعد ما دخل بيته طلحة و الزبير في عدة من الصحابة ، فقالوا : يا علي إنا قد اشترطنا إقامة الحدود ، و إن هؤلاء القوم (يشيرون إلى السبئية و أنصارهم) قد اشتركوا

---

[1] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص438

[2] ابن حجر ،الإصابة في تمييز الصحابة،المصدر السابق،ج2،ص508

[3] ابن الاثير ،الكامل في التاريخ،ج3،المصدر السابق، ص203

في دم هذا الرجل و أحلوا بأنفسهم فقال علي : يا أخوتاه : إني لست أجهل ما تعلمون ، و لكن كيف أصنع بقوم يماكوننا و لا نملكهم هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم ، و ثابت إليهم أعرابكم : و هم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا فهل ترون موضعا لقدرة على شيء مما تريدون قالوا : لا ، قال : فلا و الله لا أرى إلا رأيا ترونه إن شاء الله ، إن هذا الأمر أمر جاهلية ، و إن لهؤلاء القوم مادة ،و ذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها أبدا إن الناس من هذا الأمر (و كأنه يشير إلى القصاص من قتلة عثمان) إن حرك على أمور : فرقة ترى ما ترون و فرقة ترى ما لا ترون ، و فرقة لا ترى هذا و لا هذا حتى يهدأ الناس و تقع القلوب مواقعها و تؤخذ الحقوق ، فاهدؤوا عني وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودا[1] .

و الذي يبدوا أن هذا التحليل من علي للموقف هو الذي بنى عليه سياسته تجاه قتلة عثمان - أخذهم بالحكمة ، و تحين الفرصة المناسبة - ، و لكن ذلك لم يكن مقنعا لجميع من حضر الحوار ، ولذلك قال بعضهم :

" نقضي الذي علينا و لا نؤخره ، و الله أن عليا لا مستغن برأيه عنا .. " ثم يسمع علي بمقالتهم ، و يرغب أن ينتزل لرأيهم ، ليريهم أنه هو و إياهم لا يستطيعون - في ظل تلك الظروف - أن يصنعوا شيئا .. فينادي : برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه فتذامرت السبئية و الأعراب و قالوا : لنا غدا مثلها و لا نستطيع نحتج فيهم بشيء[2] ، و في اليوم الثالث خرج علي على الناس و قال لهم : اخرجوا عنكم الأعراب ، و قال يا معشر الأعراب : الحقوا بمياهكم فأبت السبئية و أطاعهم الأعراب ، ثم دخل بيته ، و دخل عليه طلحة و الزبير في عدة من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم فقال : دونكم ثأركم فاقتلوه ، فقالوا : عشوا عن ذلك (أي كأنهم أعرضوا عنه) فقال لهم علي : هم و الله بعد اليوم أعشى و أبى ثم قال :

لو أن قومي طاوعتني سراتهم أمرتهم أمرا يديخ الأعاديا[3]

و يستمر الخلاف في الرأي ، و على الرغم من بوادر الاقتناع التي بدت من طلحة و الزبير على أثر تحليل علي للموقف و بيانه لما اختاره من سياسة وعلى ضوء مرئيات الواقع ، إلا أنهما كان يريان وسيلة أخرى يمكن عن طريقها ضرب هؤلاء الثوار ، فطلحة يطلب من علي أن يأذن

---

[1] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص437

[2] نفسه،ص438

[3] نفسه،ص438

له بالذهاب إلى البصرة ليجمع له من هناك الجنود ، و يقول الزبير : دعني آتي الكوفة فلا يفجؤك إلا و أنا في خيل .. ، و لكن علي يتريث في ذلك و يقول لهما ، حتى أنظر في ذلك[1] ولعل عليا كان يخشى الفتنة ، وتحول الأمر إلى حرب أهلية داخل المدينة ، ولذلك لم يجب طلحة والزبير إلى مطلبهما وقال : حتى أنظر في ذلك .

كما أن جملة العبارات الواردة (طلب الزبير من علي أن يفاجئه بالخيل لمحاصرة الثائرين و طلب طلحة منه أن يأذن له بجمع الجنود من البصرة ، و ما قال على نفسه : إنهم يملكوننا و لا نملكهم) كل ذلك يشير إلى قوة الثوار و تسلطهم على المدينة حتى ليحتاج الأمر إلى جيش لدفعهم .

إذا كان محور الخلاف ـ كما أفهم ـ هو اختلاف الآراء حول الوسيلة التي يمكن عن طريقها جمع الأمة و درء الفتنة و رد الأمر لصالحي المسلمين و أهل الحل و العقد منهم ، و على ما كان يختلف مع بقية الصحابة حول فساد نوايا أولئك الثوار ، و ما كان يرغب بقاءهم في جيشه لولا أن الظروف لم تكن تساعده [2] ، و لكنه كما قال : إنهم يملكوننا و لا نملكهم و هو و إن كان لم يخرجهم عن عسكره ، فقد كان يعاملهم بحذر ، و ينظر إليهم بشزر حتى قال ابن الأثير : إنه لم يول أحدا منهم أثناء استعداده للخروج إلى للشام[3] .

و تفاقم الأمر ، واختلفت الاجتهادات في الوسيلة لضرب الثوار ، و أخيرا استأذن طلحة و الزبير عليا في الذهاب للعمرة ، فأذن لهما فلحقا بمكة ، و هناك التقيا بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي كانت تقيم في مكة مع بقية أزواج النبي صلى الله عليه و سلم[4] .

فقد كان الأمر الجامع لهؤلاء شعورهم بالتفريط في أمر عثمان ، فقد أخرج الطبري من طريق عاصم بن كليب عن أبيه قال : جاءنا الخبر و نحن راجعون من غزاة لنا ، فلما انتهينا إلى البصرة لم نلبث إلا قليلا حتى قيل : هذا طلحة و الزبير معهما أم المؤمنين ، فراع الناس ذلك و سألهم عن سبب مسيرهم ، فذكروا أنهم خرجوا غضبا لعثمان و توبة مما صنعوا من خذلانه[5]

ثانيا : خروج عائشة و طلحة و الزبير إلى البصرة :

---

[1] الطبري ،المصدر السابق ،ص438

[2] ابن كثير ،البداية و النهاية، المصدر السابق ،ج7،ص250

[3] نفسه،ج3،ص204

[4] نفسه،ج7،ص250

[5] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص491

لم يقدر للخلاف أن ينتهي في المدينة ، أو حتى الخروج إلى مكة و إنما شاءت أراده الله أن يتمخض اشتغال الخلاف عن خروج عائشة و طلحة و الزبير إلى البصرة ، أما عائشة فقد كانت بمكة لما قتل عثمان و لما بلغها الخبر قامت في الناس تحضهم على القيام بطلب دم عثمان ، و طاوعوها على ذلك[1] .

أما طلحة و الزبير فقد كانوا في المدينة ، و لما كثر الاختلاف فيها استأذنا عليا في العمرة ، فقال لهما : ما العمرة تريدان ، و ذكر بيعتها له ثم قال : قد أذنت لكما فاذهبا راشيدين فارتحلا إلى مكة ، و اجتمعا بعائشة و من كان معها[2] .

و في مكة كانت المشورة في جهة الخروج ، فالزبير يقول : عليكم بالشام فإن به الأموال و الرجال ، و قال عبد الله بن عامر عليكم بالبصرة فإن لي بها صنائع ، و لأهلها في " طلحة " هوى ، أما الشام فقد كفاكم معاوية أمرها ، أما عائشة فقد كانت ترى الخروج إلى المدينة ، الا أنه قيل لها : أن من معك لا يقرنون لتلك الغوغاء ، و أخيرا استقر أمرهم على الذهاب إلى البصرة .

و نادى منادي القوم : ان أم المؤمنين ، و طلحة و الزبير شاخصون إلى البصرة ، فمن كان يريد إعزاز الإسلام و قتال المحلين ، و الطلب بثأر عثمان ، و من لم يكن عنده مركب أو جهاز فهذا جهاز و هذه نفقة ، فحملوا ستمائة رجل على ستمائة ناقة ، سوى من كان له مركب و قدم طلحة و الزبير و عائشة البصرة - بأعلى المربد - و بها عثمان بن حنيف الأنصاري ، واليا لعلي عليها ثم سار طلحة و الزبير و من معهم حتى أتوا الزابوقة فخرج إليهم عثمان بن حنيف فتواقفوا حتى زالت الشمس ، ثم اصطلحوا ، و كتبوا بينهم كتابا بالكف عن القتال ، و لعثمان دار الأمارة و المسجد ، و بيت المال و الكلأ ، و أن ينزل طلحة و الزبير من البصرة حيث شاؤوا و لا يعرض بعضهم لبعض حتى يقوم علي[3].

---

[1] العيني: أبو محمد محمود بن أحمد ،عمدة القاري (شرح صحيح البخاري).عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه شركة من العلماء، إدارة الطباعة المنيريه ،مصر ،ص205

[2] البستي : أبو حاتم محمد بن حبان ،الثقات دائرة المعارف العثمانية ،ج2،،ط1395،1 هـ،ص227

[3] خليفة بن خياط ،المصدر السابق ،ص183

و حينما أراد الزبير أن يرزق أصحابه من مدينة الرزق ، (الزابوقة) جاءهم " حكيم بن جبلة العبدي في سبعمائة من عبد القيس ، و بكر بن وائل ، فاقتتلوا ، فقتل حكيم فيمن قتل[1] .

و هذا كله كان قبل قدوم علي إلى البصرة ، أو معركة الجمل الأولى كما يسميها خليفة[2] .

أما علي فحينما علم بمسير طلحة و الزبير و أم المؤمنين عائشة إلى البصرة ، بعث عمار ابن ياسر و ابنه الحسن إلى الكوفة ليستنفر أهلها ، فصعدا منبرها و قال عمار : أن عائشة قد سارت إلى البصرة ، و والله أنها لزوجة نبيكم صلى الله عليه و سلم في الدنيا و الآخرة ، و لكن الله ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي[3] .

ثم خرج علي من المدينة بعد أن استعمل عليها سهل بن حنيف . و في ' ذى قار " التقى علي مع عمار و الحسن و من قدم معهما من الكوفة و كانوا ما بين السنة آلاف إلى السبعة آلاف فسار علي بمن قدم من المدينة و من أهل الكوفة إلى البصرة و هم زهاء عشرة ألاف[4] .

و في البصرة كانت ملحقة الجمل التي قال عنها الزهري : ما شوهدت وقعة مثلها ، فني فيها الكماه من فرسان مضر ، فما هي أسباب خروج عائشة و طلحة و الزبير و لماذا خرج علي في أثرهم يقول عمر بن شبه : أن أحدا لم ينقل أن عائشة و من معها نازعوا عليا في الخلافة و لا دعوا إلى أحد منهم ليلوه الخلافة ، و إنما أنكروا على علي منعه من قتلة عثمان و ترك الاقتصاص منهم[5] .

و نستطيع أن نرصد عاملين أساسين كان لهما أثر في خروج طلحة و الزبير و أم المؤمنين إلى البصرة :

1 ـ فهم من جانب المهم الحادث الذي انتهى بقتل عثمان ، فأسقط في أيديهم ، و رأوا أنهم قد قصروا في حق عثمان ، فخرجوا يطلبون دمه ، بغير أمر علي، لاسيما و أنهم قد رأوا قتلة عثمان في جيش علي ، و صاروا من رؤوس الملأ و يصدق عليهم هذا حتى آخر لحظة من حياتهم ، فمثلا طلحة كان يقول و السهام تتناوشه : اللهم خذ لعثمان مني اليوم حتى ترضى و يقول : لقد كان مني في أمر عثمان ما لا أرى كفارته إلا سفك دمي ، و تطلب دمه[6]

---

[1] خليفة بن خياط ،المصدر السابق ،ص183

[2] نفسه ،ص181

[3] صحيح البخاري،المصدر السابق،ج9،ص56

[4] خليفة بن خياط ،المصدر السابق ،ص183

[5] ابن حجر،فتح الباري،المصدر السابق،ج13،ص56

[6] الذهبي،تاريخ الاسلام، المصدر السابق، ج2،ص150

و عائشة تقول بعد قتل عثمان : أن هذا حدث عظيم ، و أمر منكر ، فأنهضوا فيه إلى إخوانكم من أهل البصرة فأنكروه ، فقد كفاكم أهل الشام مٰ عندهم ، لعل الله عز وجل يدرك لعثمان وللمسلمين بثأرهم[1] .

أما الزبير ، ففي رواية عند الطبري أن ركب عائشة وطلحة والزبير مر في طريقه على ملبح ابن عوف السلمي فسلم على الزبير وقال : يا أبا عبد الله ما هذا قال عدي على أمير المؤمنين رضي الله عنه ، فقتل بلا ثره ولا عذر ، قال ومن قال الغوغاء .. ، قال فتريدون ماذا قال ننهض الناس فيدرك بهذا الدم ، لئلا يبطل فإن في إبطاله توهين سلطان الله بيننا أبدا ، إذا لم يقطم الناس عن أمثاله لم يبق إمام إلا قتله هذا الضرب، بل لقد كان علي نفسه يؤكد طلبهم بدم عثمان ، ويرى لهم الحجة في ذلك ، فقد سأله أحد الأفراد أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا به من هذا الدم ـ يعني دم عثمان ـ فيجيب : نعم ، ثم يقول له : وترى لك حجة بتأخيرك ذلك فيقول : نعم [2]

2 ـ وفي الجانب الآخر كان خروجهم بقصد " الصلح " وتهدئة ثائرة الناس كما جاءت بذلك الأخبار ، فبعد أن استقر أمر طلحة والزبير ومن معهم على الشخوص إلى البصرة ، جاؤوا إلى عائشة ، و قالوا لها : يا أم المؤمنين : دعي المدينة ـ وكانت تريد الشخوص لها ـ فإن من معنا لا يقرنون لتلك الغوغاء التي بها واشخصي معنا إلى البصرة .. فإن أصلح الله الأمر كان الذي تريدين[3]، ونقل ابن شهاب الزهري عن عائشة قولها " إنما أريد أن يحجز بين الناس مكاني ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال ، ولو علمت ذلك لم أقف ذلك الموقف أبدا " .

ثم تتجهز للخروج إلى البصرة ، وتمر في طريقها بالحوأب فتسمع نباح الكلاب فتقول : ما أظنني إلا راجعة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب[4] " فيقول لها الزبير : " ترجعين لعل الله أن يصلح بك بين الناس .. " .

ولما قدمت البصرة ، وبلغ عثمان بن حنيف ـ والي البصرة من قبل علي ـ قدومها ومن معها أرسل إليها من يأتيه بخبرها ، وسبب خروجها ، فكان من جوابها : إن الغوغاء من أهل الأمصار

---

[1] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص440

[2] الباقلاني، المصدر السابق،ص237

[3] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص440

[4] الحوأب:موضع في طريق البصرة،وهو من مياه العرب،وقيل سمي بذلك نسبة إلى الحوأب بنت كلب بن وبره(معجم البلدان،ج2،ص314)

ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحدثوا فيه الأحداث ، وآووا فيه المحدثين ، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله ، مع ما نالوه من قتل المسلمين بلا ترة ، ولا عذر ... فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم ، وما فيه الناس وراءنا ، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا ، وقرأت : " لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقه أو معروف أو إصلاح بين الناس[1] " ننهض في الإصلاح ممن أمر الله عز وجل ، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم الصغير والكبير ، والذكر والأنثى ، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه ، ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره[2] .

وفي الثقات : أن عائشة كتبت إلى أبي موسى الأشعري وهو بالكوفة : إنه قد كان من أمر عثمان ما قد علمت ، وقد خرجت " مصلحة " بين الناس ، فمر من قبلكم بالقرار في منازلهم والرضا بالعافية ، حتى يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين[3] .

ويؤكد ابن العربي على هذا المعنى صراحة فيقول : " وأما خروجها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب ، ولكن تعلق الناس بها ، وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة ، وتهارج الناس ، ورجوا بركتها في الإصلاح ، وطمعوا في الاستحياء منها إذا وقفت إلى الخلق ، وظنت هي ذلك فخرجت مقتدية بالله في قوله : { لا خير في كثير من نجواهم .. الآية } { وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما } وحينما وصل علي إلى البصرة ، جاء إلى عائشة فقال لها : غفر الله لك ، قالت :و لك ما أردت إلا الإصلاح .

ولما انتدب علي القعقاع بن عمروا للإصلاح مع أصحاب الجمل ـ كما سيأتي ـ بدأ بعائشة ، فسألها عن سبب خروجها فأجابت : الإصلاح بين الناس[4] .

لكن هل تقبل أم المؤمنين ـ وهي ممن أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ـ أن تسفك دماء المسلمين لموجدة في نفسها وجدتها على علي منذ عشرات السنين أم الأولى أن يقال أن الرافضة هم الذين يجدون في أنفسهم على عائشة فيفترون عليها الحق أن عائشة إنما قصدت الإصلاح.

---

[1] سورة النساء ،آية 114
[2] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص461
[3] ابن حبان،المصدر السابق،ج2،ص282
[4] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص488

لم يكن هذا الإصلاح هدف عائشة وحدها ، فقد أخرج الحافظ البيهقي[1] أن عليا لما دنى هو و أصحابه من طلحة و الزبير ، نادى بالزبير فجاء إليه ، فذكره حديث رسول الله عليه و سلم : لتقاتلنه و أنت ظالم له فذكره الزبير و قال : لقد أنسيته ، ثم عزم إلى الرجوع فعرض له ابنه عبد الله فقال مالك قال ذكرني علي حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه و سلم و إني راجع ، فقال له ابنه :

وهل جئت للقتال إنما جئت تصلح بين الناس ، ويصلح الله هذا الأمر[2]

وبالجملة فعائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم إنما خرجوا قاصدين الصلح وجمع الكلمة ، وأما ما رافق ذلك وما أعقبه من أمور فهي محض اجتهاد منهم ، وهم من أهل الفقه والرأي ، كما يقول الباقلاني، و أبو بكر بن العربي بعد أن ساق احتمالات في أسباب خروجهم إلى البصرة قال: "و يمكن أنهم خرجوا في جميع طوائف المسلمين ، و ضم نشرهم ، و ردهم إلى قانون واحد ، حتى لا يضطربوا فيقتلوا ، و هذا هو الصحيح لاشيء سواه و بذلك وردت صحاح الأخبار " .

و إذا كان هذا كله في جانب طلحة و الزبير و أم المؤمنين عائشة (رضي الله تعالى عنهم) و من سار على رأيهم فلم يكن علي (رضي الله عنه) و من كان على رأيه من جيشه بهدف من مسيره إليهم إلا الإصلاح و جمع الكلمة ..

جاء في تاريخ الطبري أن عليا (رضي الله عنه) لما أراد الخروج إلى البصرة قام إليه ابن لرفاعة بن رافع ، فقال :

يا أمير المؤمنين أي شيء تريد و إلى أين تذهب بنا فقال علي : أما الذي نريد و ندوي فالإصلاح إن قبلوا منا و أجابونا إليه[3] .

وورد أيضا أن آخر قام إليه في هذا المسير فقال له : م أنت صانع يا أمير المؤمنين إذا لقيت هؤلاء القوم قال : قد بان لنا و لهم أن الإصلاح و الكف أحوط ، أن تابعوا فذلك و إن أبوا ألا القتال فصدع لا يلتئم[4] .

---

[1] هو احمد بن الحسين ،ابو بكر البيهقي،الخراساني الشافعي،محدث فقيه،غلب عليه الحديث ورحل في طلبه،وصنف فيه كثيرا،منمصنفاته السنن الكرى ،دلائل النبوة،ولد سنة 384ه،وتوفي نيسابور سنة458ه(معجم المؤلفين ،ج1،ص206)

[2] ابن كثير ،البداية و النهاية، المصدر السابق ،ج7،ص242

[3] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص471

[4] الباقلاني، المصدر السابق،ص237

و لما قام على علي عامر بن مطر الشيباني قادما من الكوفة سأله علي عما وراءه فأخبره ، ثم سأله عن أبي موسى الأشعري فقال : إن أردت الصلح فأبو موسى صاحب ذلك ، و إن أردت القتال فهو ليس بصاحب ذاك ، فقال علي عند ذلك : و الله ما أريد إلا الإصلاح حتى يرد علينا

و حينما قدم عليه وفد الكوفة ـ بذي قار ـ قال لهم : يا أهل الكوفة أنتم لقيتم ملوك العجم فغضضتم جموعهم ، و قد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة ، فإن يرجعوا فذاك الذي نريده ، و أن أبوا داويناهم بالرفق حتى يبدؤونا بالظلم و لن ندع أمرا فيه صلاح إلا أثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله تعالى.[1]

و يحدثنا الذهبي عن سبب خروج علي فيقول : إنه لما علم بخروج الصحابة خشي أن ينتفض الناس فسار على أثرهم إلى البصرة[2] .

و في شذرات الذهب أن أهل البصرة اجتمعوا على علي ـ بعد وصله إليها ـ فحاول صلحهم و اجتماع الكلمة ، فسعى الساعون بذلك .

و لم يكن هذا منطق علي وحده ، فقد روى عن ابنه " الحسن " أنه كان يقسم : والله ما أردنا الإصلاح [3] .

و بهذا القصد خرجوا للبصرة ، و تحقيقا لهذا الهدف كان اللقاء مع عائشة و الزبير و طلحة و على ضوء ذلك نفهم الكلمات المروية عن الحسن : ' أيها الناس : أجيبوا دعوة أميركم و سيروا إلى إخوانكم ، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه ، و الله لأن يليه أولو النهى أمثل في العجلة ، و خير في العقبة فأجيبوا دعوتنا و أعبدونا على ما ابتلينا به و ابتليتم[4] .. " .

بل إن غالبية الناس من الجيشين كانت ترغب الإصلاح ، و ما كانت تشك فيه قريعه و مضر ، و أهل اليمن ـ و هم موزعون بين الطائفتين ما كن أحد منهم يشك في الصلح ، و لقد ردوا " حكيم بن جبله " و ' الأشتر النخعي " إلى علي ، و قالوا : أنا على ما فرقنا عليه القعقاع من الصلح فأقدم ، ثم يقدم علي فتنزل القبائل على بعض ، مضر إلى مضر و ربيعة

---

[1] ابن كثير ،البداية و النهاية، المصدر السابق ،ج7،ص258

[2] الذهبي،دول الاسلام،المصدر السابق،ج1،ص15

[3] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص483

[4] نفسه،ص458

إلى ربيعة ، و اليمن إلى اليمن ، و يكون بعضهم بحيال بعض و بعضهم يخرج إلى بعض و هم جميعا لا يشكون في الصلح ، و لا يذكرون و لا ينوون إلا إياه ..[1]

المبحث الثالث : أثر ابن سبا و أعوانه في وقعة الجمل :

ذهب ضحية وقعة الجمل " طلحة " و " الزبير " و غيرهم كثير ، حتى قال " قتادة[2] " . قتل يوم الجمل عشرون ألفا . و قال غيره عشرة آلاف[3] و قيل سبعة آلاف و الأمر قد يعلل بالفتنة[4] إلا أن هذا التعليل وحده قد لا يكفي أو يشفي و من ثم نحتاج إلى دراسة الأحداث ، و استجماع النصوص لمعرفة الحقيقة من ورائها و إدراك العوامل المؤثرة فيها ..

جاء في إحدى روايات الطبري الخبر الآتي :

لما كان على بذي قار ، و اجتمع عنده أهل الكوفة ، كان من رؤسائهم " القعقاع ابن عمرو التميمي " و هو الذي بعثه علي رسولا إلى طلحة و الزبير بالبصرة يدعوهما إلى الألفة و الجماعة ، و يعظم عليهم الفرقة و الاختلاف ، فذهب القعقاع إلى البصرة ، فبدأ بعائشة ، فقال : أي أماه ما أقدمك هذا البلد فقالت : أي بني الإصلاح بين الناس ، فسألها أن تبعث إلى طلحة و الزبير ليحضر عندها ، فحضرا فقال القعقاع : إني سألت أم المؤمنين ما أقدمها ، فقالت : الإصلاح ، فقالا : و نحن كذلك ، قال فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح و على أي شيء يكون فو الله لئن عرفناه لنصطلحن ، و لئن أنكرناه لا نصطلحن ، قالا : قتله عثمان فإن هذا إن ترك كان تركا للقرآن فقال : قتلته من أهل البصرة و أنتما قبل قتلهم أقرب منكم إلى الاستقامة منكم اليوم ، و إنما أخر علي قتله عثمان ليتمكن منهم ، فإن الكلمة في جميع الأمصار مختلفة .. فقالت عائشة : فماذا تقول أنت قال أقول : إن هذا الأمر الذي وقع دوائره التسكين .. فآثروا العافية ترزقوها و كانوا مفاتيح خير كما كنتم أولا ، و لا تعرضونا للبلاء ، و لا تعرضوا له فيصرعنا الله و إياكم ..

---

[1] الطبري ،المصدر السابق ،ج4 ،ص505

[2] هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن عزيز السدوسي،البصري،أحد التابعين ،مفسر ،رأسا في العربية و مفردات اللغة،ولدسنة 60 ه،وتوفي في 117ه(الزركلي ،الاعلام،ج6،ص27)

[3] الطبري ،المصدر نفسه ،ج4،ص539

[4] لاسيما وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (لاتقوم الساعة حتي تقتل فئتان عظيمتان وتكون بينهما مقتلة عظيمة،ودعواهما واحدة)(فتح الباري،ج13،ص81)

و بعد أن فرغ القعقاع من كلامه قالوا : قد أصبت و أحسنت فارجع فإن قدم علي و هو على مثل رأيك صلح الأمر، فرجع إلى علي فأخبره فأعجبه ذلك ، و أشرف القوم على الصلح كره ذلك من كرهه و رضيه من رضيه[1] .

و الذين كانوا يكرهون الصلح هم عبد الله بن سبا و جماعته ، و هؤلاء كانوا في جيش علي بدليل اعتراضهم على علي حين عزم على الرحيل قائلا : " ألا و إني راحل غدا فارتحلوا ، ألا و لا يرتحلن غدا أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس ، و ليغن السفهاء عن أنفسهم[2] " كما سيأتي بيانه و يؤكد الطبري هذا الوجود في خبر آخر مشيرا إلى أن عبد الله ابن سبا كان أحد الرؤساء في " بني عبد القيس " الذين خرجوا مع علي . و هنا قد يثار هذا السؤال : و كيف يرضى علي أن يكون هؤلاء في جيشه ، و للإجابة على ذلك ننقل ما قاله الإمام الطحاوي (321 هـ) في ذلك حيث يقول :

" و كان في عسكر علي رضي الله عنه من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه ، و من تنتصر له قبيلته ، و من لم تقم عليه حجة بما فعله ، و من في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله .. " ، على أية حال فقد اجتمع من رؤوس الذين كرهوا الصلح جماعة . كان " ابن سبا " هو المشير فيهم ، واستغربوا رأي علي في قبول الصلح ، و رفضه مشاركة الذين أسهموا في قتل عثمان للرحيل معهم ، و قالوا : فيما بينهم ـ غدا يجتمع الناس عليكم و إنما يريد القوم كلهم أنتم ، فكيف بكم و عددكم قليل في كثرتهم وهنا قال أحدهم :

إن القوم إن اصطلحوا فإنما يصطلحون على دمائنا ، وإذا كان الأمر كذلك فليس لنا إلا أن نلحق عليا بعثمان ويرضى القوم منا بالسكوت ، لكن ابن سبأ اعترض على هذا الرأي وقال : بئس ما رأيت ، لو قتلناه قتلنا ، وهم إنما يريدوننا .. فقام آخر وقال : بل دعوهم وارجعوا بنا حتى نتعلق ببعض البلاد ، فنمتنع بها ، فرد عليه ابن سبأ ، إذا يتخطفكم الناس ..

وأخيرا كان الرأي لابن سبأ حيث قال : يا قوم إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم وإذا التقى الناس غدا فأنشبوا القتال ، ولا تفرغوهم للنظر فإذا من أنتم معه لا يجد بدا من أن يمتنع ،

[1] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص488
[2] نفسه ،ج4،ص493

ويشغل الله عليا وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه ، والناس لا يشعرون[1]، و قبل أن تكون الوقعة كان علي رضي الله عنه قد بعث إلى طلحة و الزبير يقول : إن كنتم على ما فرقتم عليه القعقاع فكفوا حتى ننزل فننتظر في هذا الأمر ، فأرسلا إليه في جواب رسالته : إنا على ما فرقنا القعقاع من الصلح بين الناس ، فاطمأنت النفوس و سكنت و اجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين فلما أمسوا بعث علي عبد الله بن عباس إليهم، و بعثوا إليه محمد ابن طلحة السجاد ، و بات الناس بخير ليلة ..[2]

و هنا جاء دور تنفيذ الخطة التي رسمها " ابن سبا " و اتفق عليها أعوانه ، ففي الوقت الذي بات فيه الناس بخير ليلة ، استشرافا للعافية ، و نزوعا عما اشتهاه المبطلون ، بات أولئك بشر ليلة .

يقول الطبري في سياقه للخبر : " .. و بات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط ، قد أشرفوا على الهلكة ، و جعلوا يتشاورون ليلتهم كلها ، حتى اجتمعوا على إنشاب الحرب في السر و استسروا بذلك خشية أن يفطن لهم بما حاولوا من الشر ، فغدوا مع الغلس و ما يشعر بهم جيرانهم اسلوا إلى ذلك الأمر انسلالا و عليهم ظلم ، فخرج مضريهم إلى مضريهم و ربعيهم إلى ربعيهم ، و يمانيهم إلى يمنيهم ، فوضعوا فيهم السلاح ، فثار أهل البصرة ، و ثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين بهتوهم و خرج الزبير و طلحة في وجوه الناس من مضر فبعثا إلى الميمنة ... و ثبتا في القلب ، و قال ما هذا قالوا طرقنا أهل الكوفة ليلا ، فقالا : قد علمنا أن عليا غير منته حتى يسفك الدماء و يستحل الحرمة و أنه لن يطاوعنا ، ثم رجعا بأهل البصرة ، و قصف أهل البصرة أولئك حتى ردوهم إلى عسكرهم ، فسمع علي و أهل الكوفة الصوت و قد وضعوا رجلا قريبا من علي ليخبروه بما يردون ، فإنما قال ما هذا قال ذاك الرجل : ما فجئنا إلا و قوم منهم بيتونا فرددنهم من حيث جاؤوا فوجدنا القوم على بجل فركبونا و ثار الناس و قال علي لصاحب ميمنته ائت الميمنة ، و قال لصاحب ميسرته : ائت الميسرة ، و لقد علمت أنة طلحة و الزبير غير منتهين حتى يسفكا الدماء و يستحلا الحرمة ، و إنهما لن يطاوعانا[3] " .

---

[1] الطبري ،المصدر السابق، ج4،ص493
[2] ابن كثير ،البداية و النهاية، المصدر السابق ،ج7،ص261
[3] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص506

و على الرغم من تلك البداية للمعركة ، إلا أن الطرفين ما لبثا يملكان الروية حتى تتضح الحقيقة ، فعلي و من معه يتفقون على ألا يبدأوا بالقتال حتى يبدأوا طلبا للحجة و استحقاقا على الآخرين بها ، و هم مع ذلك لا يقتلون منبرا ، و لا يجهزون على جريح ، و لكن السبئية لا تفتر انشابا[1] .

وفي الجانب الآخر ينادي طلحة وهو على دابته و قد غشيه الناس فيقول : يا أيها الناس أتنصتون فجعلوا يركبونه و لا ينصتونه ، فما زاد أن قال : أف أف فراش نار و ذبان طمع[2] و هل يكون فراش النار و ذبان الطمع غير أولئك السبئية.

بل إن محاولة الصلح لتجري حتى آخر لحظة من لحظات المعركة ، و تتولى عائشة رضي الله عنها دفع الأمر بقدر ما تستطيع ، و هي في أثناء ذلك تكشف لنا بشكل أوضح دور السبئية في الوقيعة حينما اشتد الحرب ، و حمي القتال ، و قتل طلحة ، و رجع الزبير ، ناولت كعب بن سور مصحفا و قالت ادعهم إليه ، فتقدم به ، و استقبله مقدمة جيش الكوفيين - و فيه ابن سبا و أعوانه يرشقونه بالنبال حتى قتلوه ،و وصلت النبال إلى هودج عائشة نفسها ، فرفعت يديها بالدعاء على أولئك النفر من قتلة عثمان فصاح الناس معها حتى قال علي : اللهم العن قتلة عثمان[3] .

ولم يكن موقف علي الدعاء فحسب ، بل جاء عنه أنه كان يزع السبئية من خلفهم ، وهم يأبون إلا أقداما حتى قتلوا كعبا[4] .

وعلى أية حال ، كان أمر الله قدرا مقدورا ، وانتهت الملحمة لتسفر على مآتم الحزن والبكي فعائشة رضي الله عنها كانت إذا قرأت " وقرن في بيوتكن .. " تبكي حتى يبتل خمارها .

وكانت حينما تذكر الجمل تقول : " وددت إني كنت جلست كما جلس أصحابي ، وكان أحب إلي أن أكون ولدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام ومثل عبد الله بن الزبير ، ولم يكن علي رضي الله عنه بأحسن حالا من عائشة.

---

[1] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص507
خليفة بن خياط ،المصدر السابق ،ص 182[2]
[3] ابن كثير ،البداية و النهاية، المصدر السابق ،ج7،ص264
[4] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص513

يقول الشعبي :

لما قتل طلحة ، ورآه علي مقتولا ، جعل يمسح التراب عن وجهه ويقول : عزيز علي أبا محمد أن أراك مجدلا تحت نجوم السماء ، ثم قال : إلى الله أشكو عجري وبجري ، وبكى عليه هو وأصحابه ، وقال ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة[1] .

ولذلك كان الحسن وجماعة إذا ذكروا يوم الجمل قالوا : هلكت الأتباع ونجت القادة[2] .

من خلال هذا العرض يتبين أثر ابن سبأ وأعوانه " السبئية " في المعركة ويتضح بما لا يدع مجالا للشك حرص الصحابة (رضي الله عنهم) على الإصلاح وجمع الكلمة ، وهذا هو الحق الذي تطمئن إليه النفوس ، وتسير في اتجاهه بعض النصوص ، ومنها ما كان من رواية سيف وشيوخه فهم أئمة في هذا الشأن كما قال الحافظ ابن كثير[3] .

* علما بأن أثر السبئية في الجمل مما يكاد يجمع عليه العلماء ، سواء أسموهم بالمفسدين ، أو بأوباش الطائفتين أو أسماهم البعض بقتلة عثمان ، أو نبزوهم بالسفهاء ، أو بالغوغاء أو أطلقوا عليهم صراحة " السبئية " .*

ولنا بعد ذلك أن نقول : وما المانع أن تكون رواية الطبري المصرحة بدور " السبئية " في الجمل " تفسر هذا التعميم ، وتحدد تلك المسميات التي وردت في مقولات العلماء .

ونقول أيضا : وحتى لو لم تكن هذه الطوائف الغوغائية ذات صلة مباشرة بالسبئية ، ولم تكن لها أهداف كأهدافهم ، فأي مانع يمنع من القول أن شكلت أرضية استغلها ابن سبأ وأعوانه (السبئية) ، كما هي العادة في بعض الحركات الغوغائية التي تستغل من قبل المفسدين .

وبعد هذا كله أجدني مضطرا ، وحتى تكتمل الصورة - إلى الرجوع والتعقيب على النقطة التي أشرت إليها في صدر هذه الفقرة ، ألا وهي ما للفتنة وأجوائها من دور في الإسهام بتلك الأحداث ... فمما لا شك فيه أن الناس في الفتن قد تحجب عنهم أشياء يراها غيرهم رأي العين ، وقد يتأولون فيها صادقين ، أشياء ، يرى من سواهم حقيقتها ناصعة لا تحتاج إلى عناء ، وكفى بسواد الفتنة حاجبا عن التروي والإبصار.

---

[1] ابن الاثير ،أسد الغابة ، المصدر السابق ،ج3،ص88

[2] الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر،العثمانية . مطابع دار الكتاب العربي ،مصر 1374 هـ - 1955 م،ص246

[3] البداية و النهاية ،المصدر السابق،ج7،269

لقد استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فزعا وهو يقول : سبحان الله ماذا أنزل الله من الخزائن وماذا أنزل من الفتن[1] ..

ولقد قال أيضا صلوات الله وسلامه عليه : " يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن[2] " .

أو لم تغب عن الفاروق حين وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ في حمأة الفتنة ـ آية بأكملها من كتاب الله ، حتى إذا ذكره الصديق بقوله تعالى :

{وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين } [3]قال : " والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها ، وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات[4] " .

ولا نبعد كثيرا فهذا " الأحنف بن قيس " ـ وهو أحد الذين عايشوا أحداث الجمل ـ يخرج وهو يريد نصرة علي بن أبي طالب ، حتى لقيه أبو بكرة فذكره بالفتنة فلم يشهد الجمل مع أحد الفريقين ، ونقترب أكثر فإذا بالزبير رضي الله عنه (وهو طرف أساسي في المعركة) يكشف لنا عن حقيقة الأمر فيقول :

" أن هذه لهي الفتنة التي كنا نحدث عنها ، فقال له مولاه : أتسميها فتنة وتقاتل فيها قال : ويحك إنا نبصر ولا نبصر ، ما كان أمر قط إلا علمت موضع قدمي فيه ، غير هذا الأمر فإني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر "[5] .

ويشير إلى هذا طلحة فيقول : " .. بينما نحن يد واحدة على من سوانا ، إذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضا"[6] .

وفي الطرف الآخر يؤكد أصحاب علي رضي الله عنه على الفتنة فيقول عمار رضي الله عنه في الكوفة عن خروج عائشة : " إنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ولكنها مما ابتليتم "[7] .

---

[1] ابن حجر ، فتح الباري ، المصدر السابق ج13،ص20

[2] نفسه،ص40

[3] سورة آل عمران،آية 144

[4] ابن حجر ، فتح الباري ، المصدر نفسه ج7،ص145

[5] الطبري ،المصدر السابق ،ج4،ص476

[6] نفسه ،476

[7] ابن حجر ، فتح الباري ، المصدر نفسه ،ج13،ص53

الخاتمة

وكخلاصة لما تم عرضه،فان الذي يبرز من خلال بحثنا هذا عدة نقاط نجملها فيما يلي:

1-الدراسة تكشف عن حقيقة وجود (عبد الله بن سبأ) وجودا تؤكده الروايات القديمة و تفيض به كتب المقالات و الفرق،و الغالبية من كتب اخبار الشيعة المتقدمين،وسار على نهج هؤلاء المحققون من الباحثين المحدثين.

2-يبدو ان اول من شكك في وجود (ابن سبأ) بعض المستشرقين،ثم دعم هذا الغالبية من الشيعة المحدثين، وأنكر بعضهم و جوده، وبرز مع هذه المجموعة من أولع بآراء المستشرقين ومن تأثر بكتابات الشيعة المحدثين،و لكن هؤلاء وأولئك ليس لهم من دعائم الشك الا الشك ذاته

3-التوصل الى حقيقة وجود (ابن سبأ) يكشف لنا عن الغموض المكتنف لبعض روايات الفتنة و يجلي عاملا خطيرا من عوامل الفتنة المنتهية بقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه.

4-كما تكشف الدراسة – ايضا– اثر ابن سبأ و اعوانه في الفتنة في خلافة علي رضي الله عنه مبررا الدور الذي قاموا به في (وقعة الجمل)،و يستمر دورهم في الإفساد حتى بعد ان استتر الأمر لعلي و أمر عبد الله ابن عباس على البصرة، وولي زياد بن ابي سفيان الخراج و بيت المال

5-الدراسة و ان كانت تنتهي دون ان تحدد نهاية ابن سبأ ، بعد ان اثبات وجوده بعد استشهاد علي، اذ انه قال لمن جاء ينعي اليه قتل علي: لو جئتمونا بدماغه في سبعين صرة ما صدقنا انه يموت، ولا يموت حتى يملا الأرض عدلا كما ملئت جورا ،نقول مع هذا الغموض في تحديد النهاية الذي يقابله غموض في المبدأ و النشأة،فان ذلك لا ينتصب دليلا على الإنكار أو حتى عاملا من عوامل التشكيك.

ومع ذلك فأنني اخلص من هذا البحث مؤكدا النتائج الآتية:

أولا: ان عبد الله بن سبأ هو أصل التشيع، والبراهين على ذلك ما يلي:

أ- عقائد الشيعة لا تختلف كثيرا عن الأفكار و المعتقدات التي جاء بها عبد الله بن سبأ ، فمعتقدات الشيعة لا تختلف كثيرا عن الأفكار و المعتقدات التي جاء بها عبد الله بن سبأ

هناك نصوص صريحة تدل – من قريب أو بعيد– على ان عبد الله بن سبأ هو أصل الرافضة(الشيعة)،فابن قتيبة يقول : وكان ابن سبأ اول من كفر من الرافضية، ويقول الاسفرايني عن ابن سبأ : كان من غلاة الرافضة، ونقل مثل ذلك الذهبي.

وينتقل في موضوع آخر قول آهل العلم: (ان مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله ابن سبأ)

ولم تكن هذه التصريحات قصرا على أهل السنة وحدهم، بل ذكرها علماء الشيعة ،فالقمي – مثلا– أثناء حديثه عن ابن سبأ وما جاء به يقول (..فمن هنا قال من خالف الشيعة إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية دون ان يعلق على ذلك شيئا في موضعه ومثل ذلك يصنع (النوبختي)في فرقه)

وأخيرا يقول المستشرف الألماني (فلهوزن): (ان مذهب الشيعة الذي ينسب إلى عبد الله بن سبأ على انه مؤسسه إنما يرجع إلى اليهود اقرب من ان يرجع إلى الإيرانيين..).

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

1. القرآن الكريم.

2. ابن الأثير :أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني. **الكامل في التاريخ**،طبعة دار صار ،دار بيروت للطباعة و النشر،ج1965،3م،

3. ابن الأثير :أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**،ت:محمد ابراهيم البنا،محمد احمد عاشور،مطبعة الشعب ،القاهرة،ج5،

4. ابن العربي ، **العواصم من القواصم** ت: حاشية محب الدين الخطيب،، الدار السعودية، الطبعة الثانية1387 هـ

5. ابن تيمية: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، **الفتاوى**،ط1،ج1383،28 هـ

6. ابن تيمية: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، **مناهج السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية**، الطبعة الأولى، بالمطبعة الكبرى الأميرية، بولاق،مصر 1321 هـ.ج3،

7. ابن حبيب : أبو جعفر محمد بن حبيب بن أميه الهاشمي. **المحبّر** .مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية. حيدر أياد.1361هـ.

8. ابن حجر :أحمد بن علي العسقلاني، **لسان الميزان**. حيدر أياد، الطبعة الأولى 1330 هـ،ج1،

9. ابن حجر :أحمد بنعلي العسقلاني ، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** .تحقيق:فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز ،رئاسة ادارات البحوث العلميةو الافتاء والدعوة و الرشاد

10. ابن حجر:أحمد بن علي العسقلاني ، **الإصابة في تمييز الصحابة**. ط1،ج2، 1328 هـ

11. ابن حزم .**الفصل في الملل و الأهواء و النحل**.ج4 .ط 1 1320هـ .

12. ابن سعد،**الطبقات الكبرى** .طبعة دار صار، بيروت،ج4

13. ابن عبد ربه : أحمد بن محمد . **العقد الفريد** .نشر المكتبة التجارية الكبرى .ج2.مصر، ط2. .1359.

14. ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر .**البداية والنهاية** .ج7.مؤسسة دار العربي للنشر والتوزيع. الرياض، طبع مطبعة السعادة.

15. ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر النهاية أو الفتن والملاحم ،دار الكتب الحديثة، القاهرة ،ج1،ط1،د ت

16. الأسفرايني : أبو المظفر شاهفور بن طاهر بن محمد .**التبصر في الدين و تمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**.مكتبة الخانجي. مصر1374هـ.

17. الباقلاني : أبو بكر محمد بن الطيب ، **التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة**.دارالفكر العربي، طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر1366هـ .1947 م.

18. البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، **صحيح البخاري**،المكتبة الاسلامية،محمد أوزديمير ،اسطنبول، ج2،دت

19. البستي : أبو حاتم محمد بن حبان ،**الثقات**.دائرة المعارف العثمانية ،ج2،،ط1 ،1395 هـ

20. البلاذري: ابو الحسن أحمد بن يحي بن جبار، **أنساب الأشراف**.ت:محمد باقر المحمودي. نشر مؤسسة الأعلمي.بيروت.د ت

21. الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر .**البيان والتبيين** .ج3. الطبعة الأولى.القاهرة. 1368 هـ - 1949

22. الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ،**العثمانية** . مطابع دار الكتاب العربي ،مصر 1374 هـ - 1955

23. خليفة بن خياط ، **تاريخ خليفة بن خياط** .دار القلم/ دمشق، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية 1397 هـ - 1977،

24. الذهبي:أبو عبد الله محمد بن أحمد ، **تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام**.مكتبة القدس / القاهرة، ج2، 1367هـ.

25. الذهبي:أبو عبد الله محمد بن أحمد ، **دول الإسلام** ،مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية،حيدر أباد، ط2،ج1، 1364 هـ.

26. سعد الأشعري. **المقالات والفرق** .طبعة طهران. 1963.

27. السيوطي ، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة** ،نشر مصطفى أفندي فهمي وأخويه،القاهرة،ج2، 1321هـ

28. الشهرستاني : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ،**الملل والنحل** ،دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ،ط2، 1395 هـ - 1975 م .

29. الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير . **تاريخ الأمم والملوك** .ج4.دار المعارف. مصر.دت

30. الطوسي، **رجال الطوسي** ، المكتبة والمطبعة الحيدرية . النجف، ط1، 1381 هـ - 1961 م،

31. عبد الباسط أفندي .**تحفة الأنام، مختصر تاريخ الإسلام** ،المكتبة الأهلية، بيروت 1320 هـ.

32. عبد الرحمن إبن خلدون ،**المقدمة** ،دار إحياء التراث ،بيروت،دت

33. العيني: أبو محمد محمود بن أحمد ،**عمدة القارئ (شرح صحيح البخاري)**. عنَي بنشره وتصحيحه والتعليق عليه شركة من العلماء، إدارة الطباعة المنيريه ،مصر ،دت

34. الكشي ،**رجال الكشي** ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، كربلاء .دت

35. الماوردي ،أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،مصر، ط2 ،1386 هـ - 1966

36. المقريزي،أبو العباس أحمد بن علي. **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** ، دار الطباعة المصرية، بولاق، وأعاد طبعه بالأوفست مكتبة المثنى، دت

37. الناشئ الأكبر. **مسائل الإمامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات**،ت:يوسف فان أس، دار النشر فرانتس شتاينر بفيسبادن،بيروت 1971 م،

38. النوبختي ، **فرق الشيعة** .،استانبول ، مطبعة الدولة، 1931 م.

39. الهيثمي:أحمد بن حجر المكي ،الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ، مكتبة القاهرة، طبع دار المحمدية ، القاهرة، 1375 هـ.

40. اليعقوبي:احمد بن أبي يعقوب بن جعفر . تاريخ اليعقوبي.دار صار ، بيروت،ج2، 1379 هـ - 1960 م

المراجع :

1. أحمد حسين شرف الدين . اليمن عبر التاريخ .مطابع البادية للأوفست،الرياض،ط3، 1400 هـ - 1980

2. جواد علي. تاريخ العرب قبل الإسلام ..المجمع العالمي العراقي،ج6 .1957م

3. جواد علي .المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام . ج 2. ط 1.بيروت .1969

4. جولد تسيهر ،العقيدة والشريعة في الإسلام ،ت:د.محمد يوسف موسى..وأخرون.، دار الكتب الحديثة مصر ،ط2

5. خير الدين الزركلي . الأعلام، ط3، بيروت1389 هـ - 1969 م

6. دوايت،عقيدة الشيعة ، مكتبة الخانجي، مصر 1365 هـ - 1946 م.

7. رينولد نكلس ،تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الإسلام،ترجمة وتحقيق:صفاء خلوصي، مطبعة المعارف/ بغداد 1388 هـ - 1969 م

8. سعدي الهاشمي، عبد الله بن سبأ حقيقة لا خيال ،محاضرات الجامعة الاسلامية،1399هـ

9. سعيد الأفغاني . عائشة والسياسة .دار الفكر، بيروت، ط2، 1391 هـ - 1971 م.

10. صالح العلي.محاضرات في تاريخ العرب .مكتبة المثني.بغداد.ط 6.ج 1

11. طه حسين .الفتنة الكبرى (عثمان).دار المعارف بمصر، ط2، 1970 م.

12. عبد الرحمن بدوي .مذاهب الإسلاميين دار العلم للملايين.ج2.بيروت، الطبعة الأولى 1973 م

13. علي الوردي ،وعاظ السلاطين .طبعة بغداد،1954 م

14. عمار الطالبي .،آراء الخوارج ،نشر المكتب المصري الحديث، الإسكندرية،ت د

15. فلهوزن يوليوس. تاريخ الدولة العربية .، لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة 1958

16. فلهوزن يوليوس، الخوارج والشيعة، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثانية ،1976

17. فلوتن ،فان ،السيادة العربية والإسرائيليات في عهد بني أميه .، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية 1965

18. كامل مصطفى الشيبي .الصلة بين التصوف والتشيع .دار المعارف، مصر، ط2.

19. محب الدين الخطيب .ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه ،المطبعة السلفية ومكتبتها، ط 1 1394 هـ

20. محمود قاسم ، دراسات في الفلسفة الإسلامية ،دار المعارف/ مصر، ط2، 1976 م

21. مرتضى العسكري .،عبد الله بن سبأ بحث وتحقيق فيما كتبه المؤرخون والمستشرقون عن ابن سبأ، المطبعة العلمية في النجف ،ج1375،1 هـ - 1956 م

22. نايف محمود معروف ،الخوارج في العصر الأموي ،دار الطليعة/ بيروت،ط1397،1 هـ - 1977 م

23. يوسف العش .الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان، مشورات جامعة دمشق، 1385 هـ - 1965 م

الدوريات :

الرسالة المصرية ، السنة16 (1948)،ع 778.

مجلة الثقافة الإسلامية (بغداد).السنة الأولى (1375 هـ - 1956 م) العدد 11

الفهرس

فهرس المحتويات

الموضوعات	ص
المقدمة	أ.هـ
الفصل الأول: عبد الله بن سبأ وظهوره بين المسلمين.	6
المبحث الأول : أصل بن سبأ ونشأته	07
أولا : أصل بن سبأ	07
ثانيا: نشأة ابن سبأ	11
المبحث الثاني : ظهوره بين المسلمين	12
ظهوره في الحجاز	13
ظهوره في البصرة	13
ظهوره في الكوفة	14
ظهوره في الشام	14
ظهوره في مصر	14
المبحث الثالث : محاولات التشكيك في وجود عبد الله بن سبأ	15
أولا : عبد الله بن سبأ في كتاب المتقدمين	15
عند اهل السنة	15
عند الشيعة	16
ثانيا : عبد الله بن سبأ في كتابات المستشرقين	18
ثالثا : ابن سبأ في كتابات المحدثين	21
السنة	21
الشيعة	26
الفصل الثاني: عبد الله بن سبأ وأحداث الفتنة في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه	31
المبحث الأول: بوادر الخلاف وسياسة عثمان إزاءه .	32
أولا : بوادر الخلاف في الكوفة	32
ثانيا : بوادر الخلاف في البصرة	34

ثالثا : بوادر الخلاف في الشام 36
رابعا :بوادر الخلاف في مصر 38
المبحث الثاني: عبد الله بن سبأ وأثره في إذكاء الفتنة . 40
المبحث الثالث: تصاعد الفتنة ومقتل الخليفة . 52
الفصل الثالث: عبد الله بن سبا و أثره في إحداث الفتنة في عهد علي رضي الله عنه 60
المبحث الأول: الظروف التي تولى فيها علي رضي الله عنه الخلافة 61
المبحث الثاني: اشتغال الخلاف ، وتوجه الأنظار إلى البصرة 64
أولا: اشتغال الخلاف. 64
ثانيا: خروج عائشة و طلحة و الزبير إلى البصرة 67
المبحث الثالث: أثر ابن سبأ و أعوانه في معركة الجمل 74
الخاتمة. 81
قائمة المصادر والمراجع 83
الفهرس 89